دراسات في السيرة النبوية

تأليف

مجموعة من المتخصصين
بجامعة الملك سعود

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

الإصدار الاول (١٤٣٨هـ)

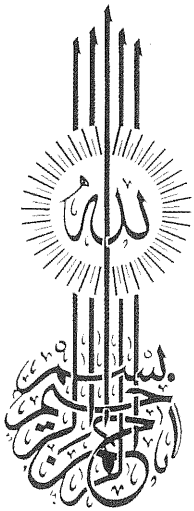
بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات في السيرة النبوية

الإصدار الأول
(١٤٣٨هـ)

تأليف
مجموعة من المتخصصين
بجامعة الملك سعود

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS
ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

ح دار جامعة الملك سعود للنشر، ١٤٣٨هـ (٢٠١٧م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جامعة الملك سعود.

دراسات في السيرة النبوية./ جامعة الملك سعود - الرياض،

١٤٣٨هـ

١٦٦ص، ١٧×٢٤سم

ردمك: ١-٥٦٧-٥٠٧-٦٠٣-٩٧٨

١- السيرة النبوية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٣٨/٦٤٥٠

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦٤٥٠

ردمك: ١-٥٦٧-٥٠٧-٦٠٣-٩٧٨

هذا الكتاب صادر عن دار جامعة الملك سعود للنشر، وقد تم تأليفه وتحكيمه من قبل مجموعة من المؤلفين المتخصصين وفق الضوابط المنهجية والعلمية لكتب متطلبات الجامعة في الثقافة الإسلامية، وذلك بإشراف وكالة الجامعة للشؤون الأكاديمية والتعليمية، وتوج بموافقة معالي مدير الجامعة رقم ١٦٩٤٩/ ١/ ١ وتاريخ ٢٧/ ٤/ ١٤٣٨هـ.

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من الكتاب بأي شكل وبأي وسيلة سواءً كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من دار جامعة الملك سعود للنشر

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

حرصت حكومتنا الرشيدة على تعزيز القيم والمعارف الشرعية في مناهج التعليم على مختلف المستويات وفي جميع المجالات، ففي التعليم الجامعي نصت المادة الحادية عشرة من وثيقة سياسة التعليم في المملكة على أنَّ «**الثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي**» مما يجلي بوضوح مدى العناية بتوجيه التعليم وربطه بأحكام الشرع المطهر وقيمه العليا ومقاصده الراقية، وتنفيذا لهذه السياسة الحكيمة؛ **اعتنت جامعة الملك سعود** - منذ نشأتها - بتضمين برامجها التعليمية في جميع التخصصات بأربعة مقررات من الثقافة الإسلامية يُلزَم الطالب باجتيازها خلال دراسته.

ورغبة في تطوير هذه المقررات وتعزيز دورها رأت الجامعة التوسع بطرح **سلَّة للمتطلبات الجامعية في الثقافة الإسلامية** تتضمن أحد عشر مقررا في مختلف المجالات، ويُترك للكلية أو للطالب اختيار أربعة مقررات من هذه السلَّة، وقد تمَّ وضع الضوابط المنهجية لتأليف المحتوى العلمي لهذه المقررات والتي من أهمها؛ العناية بالمعلومة المرتبطة بالطالب، وتسهيل المادة العلمية له، واعتماد ما جرى عليه العمل في بلادنا بالفتوى، وضبط النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والدِّقة في تخريجها، وقد تمت متابعة العمل عن طريق لجان مستقلة، وتحت إشرافٍ ومتابعةٍ مستمرةٍ من وكالة الجامعة للشؤون التعليمية والأكاديمية.

ونُقدِّر دعم وزارة التعليم لهذا المشروع وجعله ضمن برامجها التطويرية، كما نشكر كل من ساهم في إعداد المحتوى العلمي ومراجعته وتحكيمه وتصميمه، سائلين المولى عز وجل أن يبارك فيه ويرزقه القبول، وأن يكون لهذه المقررات الأثر الطيِّب في توجيه طلابنا وطالباتنا بامتثالهم لأوامر دينهم العظيم، واقتفائهم منهج سلفهم الصالح، **والتزامهم التوسط والاعتدال الذي هو مقتضى ما تقوم عليه سياسة بلادنا الحكيمة**.

المؤلفون

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله الذي أرسل الرسل هداة على طريق الرشاد، وأمدهم بكامل الإمداد، حتى بددوا ظلمات الشرك والعِناد، والصلاةُ والسلام على خاتم الرسل نبينا محمد البدر الوقّاد، الذي بلَّغ الدين بأقواله وأحواله ووقائع أيامه حتى انتصر الحقُّ وساد، وعلى آله وأصحابه ومن تبع نهجه إلى المعاد، وبعد.

فإن دراسة السيرة النبوية من أنفع ما ينفق فيه طالب العلم وقته، ويشغل به زمنه، وذلك لأنَّ شرف العلم من شرف المعلوم، وصاحبُ السيرة أشرف الخلق على الإطلاق، فهو صاحب الرسالة الخاتمة، ورمز الخُلق الرفيع، والمختص بالشفاعة يوم يَمْثُل العباد في ساحة الحساب، كما أنَّ السيرة النبويّة منبع هداية وإرشاد، وليست مجرد وقائع وروايات، وقَصَصٍ وحكايات، حيث كانت تطبيقًا عمليًّا لتعليمات الوحي الإلهيّ، ومنهجَ حياةٍ أظهره الله لعباده في سيرة النبيّ ﷺ مع أصحابه، فلا يعدم الناظرُ في كتب السير استخلاص الحكم والعبر، بل والشرائع والأحكام.

وانطلاقًا من هذه الأهمية توجهت عناية جامعة الملك سعود إلى تخصيص أحد مقررات متطلبات الجامعة من مقررات الثقافة الإسلامية لدراسة السيرة النبوية المطهّرة. ولـمّا كانت أحداثُ السيرةِ مِن الكثرة بحيث لا يمكن جمعها في مقرَّر واحد؛ عمدت اللجنة المؤلِّفة إلى الوقوف في بعض محطات السيرة العطرة؛ وقوفًا يسيرًا يَنْهَل فيه الطالبُ من دروسها وهدايتها، ويتزوّد مِن نورِها وَبَرَكَتِهَا، حتى يكون موصولاً بأيام

نبيّه ﷺ وسيرته.

وانطلاقًا مِن هذا المنهج، تمَّ تقسيمُ المقررِ إلى اثنتي عشرة وِحدَةٍ تعليميّة على النحو الآتي:

- الوحدة الأولى: مفهوم السيرة النبوية ومصادرها، وحال العرب قبل البعثة.
- الوحدة الثانية: مراحل حياته ﷺ الأولى وما سبقها من مبشرات بنبوته.
- الوحدة الثالثة: حياته ﷺ من الطفولة إلى البعثة.
- الوحدة الرابعة: بعثة النبي ﷺ وبدايات الدعوة في العهد المكيّ.
- الوحدة الخامسة: أحداث ووقائع من العهد المكيّ.
- الوحدة السادسة: المجتمع الإسلامي في المدينة (العهد المدنيّ).
- الوحدة السابعة: الغزوات الأولى.
- الوحدة الثامنة: غزوات: بني النضير، والخندق، وبني قريظة.
- الوحدة التاسعة: صلح الحديبية، ومراسلة الملوك والأمراء.
- الوحدة العاشرة: غزوة الفتح.
- الوحدة الحادية عشرة: مرض الرسول ﷺ ووفاته.
- الوحدة الثانية عشرة: حقوق الرسول ﷺ على أمته.

والله نسأل أن ينفع به إنَّه هو الموفِّق والمستعان.

***

الوحدة الأولى
مفهوم السيرة النبوية ومصادرها
وحال العرب قبل البعثة

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادرا على:

١ – معرفة مفهوم السيرة النبوية وأهمية دراستها.

٢ – بيان حال العرب قبل الإسلام.

٣ – معرفة مكانة مكّة عند العرب.

تعريف السيرة النبوية ومصادرها وفوائد دراستها

أولاً: تعريف السيرة النبوية.

السيرة في اللغة: الطريقة، يُقال: سار بهم سِيرةً حسنةً، كما تُطلق ويُراد بها الهيئة، ومن ذلك في التنزيل العزيز، قوله تعالى: ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ (طه: ٢١). ويُقال: سَيَّرَ سِيرَةً: حَدَّثَ أَحاديث الأَوائل[١].

أما في الاصطلاح فهيَ: ذِكْرُ أحداث حياة النبي ﷺ من مولده إلى وفاته، وما يتعلق بذلك من أشخاص ووقائع، مع ترتيبها ترتيبا زمنيا[٢].

ثانياً: مصادر السيرة النبوية[٣]:

تنقسم مصادر السيرة النبوية إلى قسمين هما:

(أ) مصادر أصلية، وهي: القرآن الكريم، وكتب الحديث النبوي، وكتب المغازي والسير، وكتب الشمائل، وكتب دلائل النبوة، وكتب الخصائص النبوية.

(ب) مصادر تكميلية. وهي: بعض كتب البلدان الخاصة بمكة والمدينة، وكتب التراجم والطبقات الخاصة بالصحابة، والأنساب، وغيرها مما يتحدّث عَرَضا عن سيرة الرسول ﷺ.

ثالثاً: فوائد دراسة السيرة النبوية[٤]:

دراسة السيرة النبوية الشريفة تحقّق فوائد عظيمة، من أهمِّها، ما يلي:

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة «سير».

(٢) انظر: بحث: مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، للدكتور: عطية مختار عطية حسين، ص (٦).

(٣) انظر: كتاب: مصادر السيرة النبوية وتقديمها، لفاروق حمادة، ص (٣١) وما بعدها.

(٤) انظر: مصادر السيرة النبوية وتقديمها، لفاروق حمادة، مرجع سابق.

١ – إدراك حاجة البشرية لرسالة محمد ﷺ وعالميّة تلك الرسالة.

٢ – الوقوف على التطبيق العملي الأمثل للإسلام.

٣ – معرفة المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله، وهو المنهج النبوي.

٤ – الوقوف على الجانب العملي التطبيقي للإسلام من قِبَل الرسول ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

٥ – معرفة شمائله ﷺ وخصائصه والآيات والبراهين الدَّالة على نُبُوَّته.

٦ – معرفة أبعاد مشروعية الجهاد في سبيل الله، ودوافع الفتوحات الإسلامية.

***

حال العرب قبل البعثة

أولاً: الحالة الدينية للعرب قبل البعثة[1]:

كان العرب قبل ظهور الإسلام يعيشون عهدًا وثنيًا لا مثيل له، فكانوا يحجّون إلى الأصنام، ويطوفون بها، ويقدِّمون لها القرابين، ويستقسمون عندها بالأزلام، حتى أصبحت الكعبةُ مقرًا للوثنيّة؛ إذ كان في جوفها وفنائها ثلاثمائة وستّون صنمًا، وكان أعظمها عندهم هُبَل، وهو تمثال من العقيق الأحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، وقد أدركته قريش كذلك، فصنعت له يدًا من ذهب، وكان على بئر في جوف الكعبة، وكان أمام البيت صنمان: إِسَاف، ونَائِلة، ينحرون، ويذبحون عندهما.

وكان لكل قبيلة صنم تدين له بالعبادة، فكانت مَناة على ساحل البحر لأهل

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/٧٨)، والسيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، ص (١٤٨، ٢٦٢)، وتلبيس إبليس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، ص (٥٥).

المدينة، وكان الأوس والخزرج أشدّ إعظاما لها من غيرهم، كما كانت اللاّت لثقيف بالطائف، والعُزَّى فوق ذات عِرْق، وكان إلى جانب هذه الأصنام الكبيرة عدد لا يحصى كثرة من الأصنام الصغيرة التي يسهل نقلها في الأسفار ووضعها في البيوت، فكان لكلّ بيت في مكة صنم خاصّ يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضًا، وقد روى البخاريُّ في صحيحه عن أبي رجاء العُطاردي قال: «كنّا نعبدُ الحجرَ، فإذا وجدنا حجرًا آخر هو أخيرُ منه ألقيناه، وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جُثوة[1] من تراب، ثم جئنا بالشاة، فحلبناه عليه، ثم طفنا به»[2].

وكانت إلى جانب هؤلاء الوثنيين فئة قليلة يُسمُّون الحنفاء، أنكروا عبادة الأوثان، وعبدوا الله على ما بقي من دين إبراهيم عليه السلام، ومن هؤلاء الحنفاء: قُسُّ بن ساعدة الإيادي، الذي كان يؤمن بالبعث ويدعو إلى توحيد الله وعبادته، وترك عبادة الأوثان، ومنهم أيضا، زيد بن عمرو بن نفيل، وكان لا يأكل ما ذُبح على الأنصاب[3].

وإضافة إلى هؤلاء كان للنصرانية وجود في نجران، وفي الغساسنة، وقبائل تَغْلب وطَيء، وكان لليهودية وجود في يثرب وخيبر.

ثانياً: الحالة السياسية للعرب قبل البعثة:

لم يجتمع العرب قديمًا على دولةٍ واحدةٍ حتى في الممالك المتحضرة التي نشأت بالجزيرة، كممالك اليمن، ومملكة الحيرة في الشمال الشرقي، بل كان العرب ينقسمون

---

(١) «الجثوة»: هي الربوة الصغيرة، وقيل: هي الكومة من التراب. انظر: لسان العرب، مادة (جَثا).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: وفد بني حنيفة، رقم الحديث (٤٣٧٦).

(٣) كتاب المغازي، كتاب وفد بني حنيفة، رقم الحديث (٤٠٥٢).

إلى بدو وحضر، ويسود بينهم النِّظَامُ القَبَلِيُّ الذي كان يحملهم على التنافس فيما بينهم من أجل الحصول على الشرف والزعامة وتوسيع النفوذ، ومن ثمَّ كانت تنشب المعارك بينهم لِأَوْهَى الأسباب.

وكان لكلِّ قبيلةٍ قانونٌ عرفيٌّ يُنَظِّم العلاقات بين الفرد والجماعة، على أساسٍ من التضامن في الحقوق والواجبات، وعلى رأسها زعيم يُختار بناءً على صفاته ومنزلته، وكان له حقوق أدبية تتمثل في احترامه، وتبجيله، والاستجابة لأمره، والنزول على حُكمه وقضائه، وأخرى مادية تتمثل في «المرباع» وهو: ربع الغنيمة، «والصفايا» وهو: ما يصطفيه لنفسه من الغنيمة قبل القسمة، (والنشيطة) وهي: ما أصيب من مال العدو قبل اللقاء، (والفضول) وهو: ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة، وكان عليه إزاء هذه الحقوق واجبات كثيرة، فهو في السِلم مسؤول عن إكرام الضيوف، وإغاثة المحتاجين من أبناء القبيلة، وإجارة المستجير، وفي الحرب يتقدم الصفوف، ويعقد الصلح، والمعاهدات.

وكانت الحريّة تسود النظام القبلي، وتمثِّل أخصَّ خصائص العرب الذين يأبون الضيْمَ والذل[1].

ثالثاً: الحالة الاجتماعية والأخلاقية للعرب قبل البعثة:

كانت العاداتُ والتقاليدُ الموروثة عن الآباء والأجداد شريعةً مُتَّبَعَةً عند العرب، والعصبية القبلية ركنًا مِن أركان حياتهم الاجتماعية، حتى إنَّ الفرد من أفراد القبيلة كان يقف مع أخيه في السِلْم والحرب والرُّشد والغَيّ على السواء!، وكانت حياتهم الثارات والغارات والنهب والسلب، ولذلك ما كانت القبيلة تأمن أن تَنقَضَّ عليها

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، لمحمد أبي شهبة (١/ ٦٠ – ٦١)، والقول المبين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد النجار، ص (٦١ – ٦٢).

قبيلةٌ أُخْرى في ساعةٍ مِن ليلٍ أو نهارٍ؛ لتسلب أموالها ومُؤَنَهَا، وتدع ديارَها خاوية.

وكانت الحروبُ تدور بينهم لأَتْفَهِ الأسباب، وتدوم أعوامًا طويلةً؛ كحرب البسوس التي قامت بين بكر وتغلب أربعين عامًا من أجل ناقة، حتى أكلت الكثير من أبطالهم ورؤسائهم.

وبلغت قساوةُ العربِ إلى حدِّ ذبح الأبناء على النُّصُبِ والأوثان، وقتل الأولاد خشية الفقر، ووأد البنات خشية العار.

وكانت الخمرُ والميسرُ والتعاملُ بالربا مِن معالم الحياةِ الجاهليةِ، فكان شربُ الخمرِ مِن المفاخر التي يتسابقون في مجالسها، حتى نسجوا ذلك في كثير من أشعارهم[1]، وكان المَيْسِرُ عندهم من شعار أهل الجود والكرم، وعدم المشاركة فيه عارًا.

وبالجملة فلا شيء أصدق وأبلغ في وصف الحالة الاجتماعية والخُلقية التي كان يعيشها أهل الجزيرة العربية، من قول جعفر بن أبي طالب ﷺ أمام النجاشيّ: «أيها الملك! كنّا قومًا أهلَ جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميْتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكلُ القويُّ منَّا الضعيف»[2].

رابعاً: محاسن العرب:

مع المساويءِ السابقة كانت في العرب خصال من الخير كثيرة أهَّلتهم لحمل راية الإسلام؛ فالعربي يتصف بالأَنَفَةِ والإباء، والشهامة والذكاء، ويتَّسم بالصدق

---

(١) جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (١/٣٢٦).

(٢) رواه ابن خُزَيمة في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: ذكر البيان أن فرض الزكاة كان قبل الهجرة إلى أرض الحبشة (٢/١٠٧٩)، ورواه أحمد في مسنده (٣/٢٦٦) رقم الحديث (١٧٤٠)، وقال محققوا المسند: «حديث حسن».

والأمانة، وهو رجل جادّ، صارم، يتحلّى بالشجاعة والصراحة، بعيد عن المداهنة والمصانعة، حاذق في الفراسة، ماهر في الفروسية، يبذل النَّفْسَ والنَّفِيسَ في حمايةِ الجارِ والمستجير والمستغيث، وهو كريم يؤدِّي حقَّ الضّيافة والصَّداقة مهما كلَّفه ذلك، حتَّى كان الرجلُ يأتيه الضيفُ، وليس عنده مِن المال إلا ناقته التي يعيش عليها، فيقوم إليها ويذبحها لضيفه، حتى أصبحت سيرةُ بعضهم مضرب الأمثال في الكرم.

والعرب مغاوير حرب، وأحلاس خيل[1]، وأصحاب جلادة وتقشُّف في الحياة، بمعزل عن أدواء المدنية والترف، والتي قد تحول دون التحمس للعقيدة والتّفاني في سبيلها[2].

كانت هذه الفضائل والأخلاق الحميدة رصيداً مدخراً في نفوس العرب حتى جاء الإسلام فنمَّاها وقوَّاها، ووجَّهها وجهة الحق، فلا عجب إذا كانوا انطلقوا من شبه جزيرتهم، ففتحوا الأرض، وملؤوها إيماناً بعد أن مُلئت كفراً، وعدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً، وفضائل بعد أن عمَّتها الرذائل، وخيراً بعد أن طفحت شراً[3].

***

شرف مكة، ومنزلتها عند العرب

كانت مكة أرضًا جرداء، لا شجر فيها ولا زرع ولا ماء، خالية من كل أثرٍ للحياة، فأمر الله إبراهيم عليه السلام أن يأتي بهاجر عليها السلام، وبابنيْهما إسماعيل عليه السلام

(١) أي: ملازم لظُهورها أو رياضتها. لسان العرب، مادة «حلس».

(٢) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، ص (٤٥ – ٤٨)، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، لمحمد أبي شهبة (١/ ٩٤ –٩٧)، وتاريخ العرب القديم، لتوفيق بيومي، ص (٢٦١ – ٢٦٣).

(٣) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، لمحمد أبي شهبة (١/ ٩٧).

وهو طفل رضيع، من الشام حتى يتركهما في مكة، في مكان ليس فيه داعٍ ولا مجيب، فلما وضعهما دعا ربه، فقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ (إبراهيم: ٣٧)، فاستجاب الله دعاءَه، فمرَّت بهم رفقةٌ من جُرْهم، فاستقرت إلى جوار زمزم بإذن من أم إسماعيل عليها السلام، ورزقهما الله أنواع الثمرات التي يحملها الناس إليهم من كل حدب وصوب، ورفع إسماعيل قواعد البيت مع أبيه إبراهيم عليهما السلام، فاختار الله تعالى مكة لتكون محل بيته العتيق، أوَّل بيتٍ وضع للنّاس لعبادتهم ونُسُكِهم، يطوفون به، ويصلّون إليه، ويعتكِفون عنده، وجعلها حرماً آمنا يومَ خلق السموات والأرض، فعاش أَهلُها في ظلِّ بيت الله آمنين، في وقت كان الناس يتخطفون من حولهم، وقد امتنَّ الله عليهم بذلك، فقال: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦٧)، وهذا الأمان شمل الطير في الجو، والصيد في البر، والنبات فوق الأرض؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم فتح مكة: (إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنّه لم يحلَّ القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحلَّ لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعْضَدُ شوكه، ولا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، ولا يَلْتَقِطُ لُقْطَتَهُ إلا مَن عَرَّفَهَا، وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَه)[1].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب: إثم الغادر للبر والفاجر، رقم الحديث (٣١٨٩)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها، رقم=

فأصبحت مكة بذلك محل تعظيم العرب جميعًا، فكان أحدهم يَلقى قاتل أبيه أو أخيه فيها فلا يتعرَّض له حتى يخرج من البلد الحرام؛ وذلك لأنه قد وقر في نفوسهم أن «مكة لا تُقِرّ فيها ظلما ولا بغيا، ولا يبغي فيها أحد إلا أخرجته، ولا يريدها ملك يستحلّ حرمتها إلا هلك مكانه، فيقال: إنها ما سميت ببكة إلا أنها كانت تَبُكّ[1] أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا»[2]، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الْحَجِّ: ٢٥)، وخير دليل على ذلك حادثة الفيل التي قاد فيها أبرهة الأشرم، نائب النجاشي على اليمن، بفيله العظيم، جيشه العرمرم لهدم الكعبة المشرفة، فأبادهم الله، ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ (الفيل: ٣ – ٥)، فزادت بذلك مكانة مكة في نفوس العرب؛ إذ ثبت لهم بما ليس فيه ريب حفظ الله لبيته، وإهلاكه من أراده بسوء.

وبقي أمر البيت الحرام بعد إسماعيل عليه السلام في يد جُرْهم، ولما استحلت جرهم حرمة البيت، وظلموا فيه سلط الله عليهم خزاعة، فقاتلوهم حتى أخرجوهم من مكة، وتولت خزاعة ولاية البيت زمنًا طويلاً، وكان سيدهم عمرو بن لحي أوَّل من

=الحديث (١٣٥٣). وقوله: (لا يعضد شوكه) أي: لا يقطع، (ولا يُنَفّر صيده)، أي: لا يُزْعج ولا يُنحَّر عن موضعه، (ولا يُخْتَلى خلاه)، الخلا: الرطب من النبات واختلاؤه قطعه واحتشاشه، واستثني من ذلك «الإذخر» كما ورد في بعض الطرق الأخرى لهذا الحديث، و«الإذخر» نبت معروف عند أهل مكة طيب الريح له أصل مندفن وقضبان دقاق، وأهل مكة يسقفون به البيوت بين الخشب ويَسدّون به الخلل بين اللبنات في القبور ويستعملونه في الوقود. ينظر: فتح الباري، (٥/١١٨ – ١١٩، ٤٢١).

(١) أي: تَدُقّ، وتَكسر. انظر: الروض الأنف، لأبي القاسم السهيلي (٢/١٥)، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي (١/١٩٤).

(٢) سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/١٠٥).

أدخل عبادة الأصنام إلى العرب، وغيَّر دين إبراهيم عليه السلام قال عنه النبي ﷺ: (إنَّ أول من سَيَّبَ السَّوَائِب[1]، وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يَجُرُّ أمعاءه في النار)[2]، ثم جاء قصي بن كلاب، فجمع قريشا في مكة، بعد أن تمكَّن من إجلاء خزاعة عنها، وأمر قريشًا ببناء دورها حول الكعبة، وابتدأ هو فبنى دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، يجتمع فيها كبراء أهل مكة تحت إمرته ليتشاوروا في أمور العباد والبلاد، فلا يعقدون لواء حرب إلا فيها، وفيها تجري عقود الزواج والمعاملات، فلا تنكح امرأة، ولا يتزوَّج رجل إلا في هذه الدار، وبذلك عادت لقريش السيادة على مكة حتى ظهور الإسلام.

ثم قام قصي بتنظيم مكة، وتولّى الحجابة والسقاية والرفادة واللواء والندوة، وانقسمت المناصب بعد موته، فكان في بني هاشم السّقاية، وفي بني أمية العُقاب راية قريش، وفي بني نوفل الرفادة، وكان في بني عبد الدار اللواء والسّدانة مع الحجابة، وكان في بني أسد المشورة[3].

***

(١) السائبة: الناقة يُسيّبونها لآلهتهم المزعومة فلا يُحمل عليها شيء. فتح الباري (٥٤٩/٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٩٢/٧)، رقم الحديث (٤٢٥٨)، وأصله في الصحيحين رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب المناقب، باب: قصة خزاعة، رقم الحديث (٣٣٣٣)، ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة، كتاب الكسوف، باب: صلاة الكسوف، رقم الحديث (٩٠١).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١١٥/١ – ١١٦)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٢٣٦/٣ – ٢٣٩)، والسيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، ص (٧٠) وما بعدها.

الدروس المستفادة

- عظم فضل الإسلام على العرب، حيث أنجاهم الله به من ضلالات الجاهلية وخرافاتها حتى صاروا سادة، حكموا بالإسلام مشارق الأرض ومغاربها.

- يجب على المسلم أن يعتني بالسيرة النبوية، وأن يتعلَّمها ويُعَلِّمها أهلَ بيتِه ومَن تحت ولايته؛ يقول زين العابدين علي بن الحسين ﷺ: «كُنَّا نُعَلَّم مغازي نبيِّ الله ﷺ وسراياه كما نُعَلَّم السورة من القرآن»[1].

- المسلم مأمور باتباع النبيِّ ﷺ والتأسي به في أموره كلها؛ ولا يمكن ذلك إلا بدراسة سيرته ﷺ، ومعرفة أحواله في ليله ونهاره، وفي عباداته ومعاملاته، وفي فعله وتركه، وفي سِلمه وحربه.

- إن الإنسان كلما كان متمسكا بتعاليم الأنبياء عاش حياة سعيدة، بعيدة عن الفتن والاضطرابات، وكلما انحرف عنها ساد الشرك والظلم والجور، وفُقد الأمن، وانحلت القيم، وكثرت الجرائم والموبقات.

- خطر الأتباع الأعمى للآباء والأجداد في العادات والتقاليد دون تمحيصها ومعرفة صحيحها من سقيمها، وأنَّ ذلك يؤدي إلى الضلال والخسران في الدنيا والآخرة، ويوقع الإنسانَ في الخرافاتِ والوثنيّة.

- عِظَمِ شأنُ مكة، فهي حَرَمُ اللهِ، وساحة بيته، ومحل الأمن والسكينة، وموضع الإعزاز والتبجيل من خلق الله.

***

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (٢/١٩٥).

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر:

١ – السيرة النبوية لابن هشام

٢ – البداية والنهاية لابن كثير.

٣ – السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة. لمحمد محمد أبي شهبة.

***

الوحدة الثانية

مراحل حياته ﷺ الأولى وما سبقها من مبشرات بنبوته

أخي الطالب / أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادرا على:

١ – معرفة أبرز المبشرات بولادة المصطفى ﷺ.

٢ – الاطلاع على نماذج من النصوص الواردة في كتب أهل الكتاب المتضمنة الإخبار بالرسول ﷺ، والبشارة به.

٣ – معرفة نسبه ﷺ، ومراحل حياته الأولى.

إرهاصات[1] النبوة

أولاً: بشارات الأنبياء والكتب السماوية بمحمد، ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (آل عمران: ٨١ ـ ٨٢).

قال علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم: «ما بعث الله نبيًّا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أنْ يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه»[2].

أيَّد الله – تبارك وتعالى – رسولَه ﷺ بدلائل وآيات كثيرة دلت على صدق رسالته ووجوب الإيمان به، منها ما كان قبل مولده ﷺ؛ كبشارات الأنبياء السابقين به، ومنها ما اقترن بولادته؛ كحادثة الفيل، وفيما يأتي بيان شيء من ذلك:

أ – بشارات الأنبياء بنبوة محمَّد ﷺ، واشتمال كتبهم على ذكره:

أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أنَّ ذِكْر نبيه محمد ﷺ موجود في كُتُب الأولين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، وحكى بشارة عيسى عليه السلام لقومه ببعثته ﷺ، قال

---

(١) «الإرهاص»: الإثبات، ومقدمة الشيء التي تؤذن بوجوده. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: «رهص».

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/٦٩).

الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (الصف: ٦).

قال كعب الأحبار: «نجد مكتوبًا في التوراة: محمد رسول الله، عبدي المختار، لا فظ ولا غليظ، ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة؛ وهجرته بطيبة...»[(١)].

وقد نصَّت التوراة المتداولة (ط. رجارد واطس. بلندن) على ظهور النبي ﷺ من مكة ونصها: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبل فاران، ومعه ألوف الأطهار، في يمينه سِنَة من نار»[(٢)]. فمجيئه من سيناء: بَعْثُه موسى عليه السلام وإشراقه من ساعير: بَعْثُه المسيح عليه السلام منه، وجبال فاران هي جبال مكة، واستعلانه منها: بَعْثُهُ محمدًا ﷺ من مكة، «فشبَّه بعثة موسى بمجيء الفجر، وشبه بعثة عيسى بشروق الشمس، وشبَّه بعثة محمد ﷺ بالظهور والاستعلان في كبد السماء الذي هو أوضح من سابقيه، وبه يتم النور على الخلائق ويكتمل»[(٣)]، وقوله: «بيده سنة من نار» أي: الشريعة الإسلامية؛ لأنها أحرقت الشرك والمشركين.

ب – إخبار أهل الكتاب بقرب مبعثه ﷺ:

لظهور شأن محمد ﷺ في كتب المتقدمين كان اليهود يعرفونه كما يعرفون

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/١٦).

(٢) انظر: مختصر إظهار الحق، لمحمد رحمة الله الكيرانوي، ص (٢٢٠)، والسيرة النبوية الصحيحة، لأكرم ضياء العمري (١/١١٨ – ١٢٠)، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة مؤلفين، (١/٢٠٢ – ٢٠٣).

(٣) مختصر إظهار الحق، للملكاوي، ص (٢٢١).

أبناءهم، وكانوا يدركون بالعلامات قرب مبعثه ويتوعَّدون به العرب من الأوس والخزرج، ويقولون: «إنه تقارب زمان نبيّ يُبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم»[1].

ومما صحَّ في إخبارهم بقرب مبعثه ﷺ ما رواه سلمة بن سلامة بن وَقْش رضي الله عنه قال: كان لنا جار من يهود، فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير، فوقف على مجلس بني عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث مَنْ فِيهِ سِنًّا، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقالوا له: ويحك يا فلان! ترى هذا كائنًا؟ إنَّ الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يُجْزَوْنَ فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، قالوا له: ويحك، وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إِلَيَّ، وأنا من أحدثهم سِنّا، فقال: إن يَسْتَنْفِدْ[2] هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ، وهو حَيٌّ بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به بغيًا وحسدًا[3].

وقد أخبر سلمان الفارسي رضي الله عنه في قصة إسلامه المشهورة، أنَّ راهب النصارى في عَمُّورية عندما حضرته الوفاة طلب منه سلمان أن يوصيه، فقال الراهب: «أي بُنَيَّ، قد أظلَّك زمان نبي، هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجراً إلى أرض بين حَرَّتَيْنِ بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة،

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/٥٤١)، والسيرة النبوية الصحيحة، لأكرم ضياء العمري (١/١٢٢).

(٢) أي: يستكمل.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٥/١٦٤)، رقم الحديث (١٥٨٤١)، وقال المحققون: «إسناده حسن».

بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل»[1].

ثانياً: من الأحداث العظام التي سبقت ميلاد المصطفى ﷺ:

قال ابن القيم رحمه الله: «لا خلاف أنه وُلِد ﷺ بجوف مكة، وأن مولده كان عام الفيل، وكان أمر الفيل تَقْدِمَة قَدَّمها الله لنبيه وبيته، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب، وكان دينهم خيرًا من دين أهل مكة إذ ذاك؛ لأنهم كانوا عُبَّاد أوثان، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرًا لا صنع للبشر فيه، إرهاصًا وتقدِمَة للنبي ﷺ الذي خرج من مكة، وتعظيمًا للبيت الحرام»[2].

حادثة الفيل:

لما احتلت الأحباش اليمن، واستولى أبرهة الأشرم – عامل النّجاشيّ – على الحُكم فيها، غار من الكعبة أن تكون مثابة للناس، يشدّون إليها الرحال، فبنى في صنعاء كنسية عظيمة سمّاها «القُلَّيس»، وأراد أن يصرف إليها حج العرب بدل الكعبة، فسمع بذلك رجل من بني كنانة، فدخلها ليلاً، وأحدث فيها، ولما علم أبرهة بذلك استشاط غضبًا، وعزم على هدم الكعبة، فسار في جيش عظيم، ومعه الفيلة التي استقدمها من الحبشة، ولما اقترب أبرهة من مكّة قام عبد المطلب، ومعه نفر من قريش، فأخذوا بحلقة باب الكعبة، يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده.

فلما أصبح أبرهة اتجه نحو البيت الحرام، فلما كان بوادي محسِّر برك فيلهم

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٩/١٤٤) رقم الحديث (٢٣٧٣٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٥٥٥).

(٢) زاد المعاد (١/٧٦).

العظيم، فضربوه ليقوم فأبى، فكانوا كلّما وجّهوه إلى مكة بَرَك، وإذا وجّهوه إلى سائر الجهات قام يهرول، وبينما هم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، لا تصيب منهم أحدا إلا هلك، فهزم الله أبرهة، وأهلك جنده، ومات أبرهة في طريق عودته إلى اليمن[1].

***

نسب الرسول ﷺ وولادته ورضاعته

أولاً: نسبه الشريف ﷺ:

هُوَ أَبُو الْقَاسِم مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الْمطلب[2] بن هَاشم بن عبد مَنَاف ابن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّةَ بن كَعْب بن لؤَي بن غَالب بن فِهْر[3] بن مَالك بن النَّضر بن كِنَانَة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَةَ بن إلْيَاس بن مُضر بن نِزار بن مَعد بن عدنان[4].

وأما أمه فهي آمنة بنت وهب بن عبد مَناف بن زُهْرَةَ بن كِلاب بن مُرَّةَ[5]. فيلتقي نسبه ﷺ من جهة أبيه ومن جهة أمه في كِلاب بن مُرَّةَ، وهو الجدّ الخامس من جهة أبيه، والرابع من جهة أمه، ﷺ.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٥٢/١) وما بعدها، والبداية والنهاية، لابن كثير (١٤٠/٣).

(٢) واسمه شيبة.

(٣) وهو الملقب بقريش، وإليه تنتسب القبيلة.

(٤) ذكر البخاري نسب الرسول ﷺ بهذا الترتيب في صحيحه، في كتاب مناقب الأنصار، عقب باب: مبعث النبي ﷺ، (٤٤/٥)، وانظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٣/١ – ٥).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١١٠/١).

وقد أخبر رسول الله ﷺ أنه من «أشرف ولد آدم حَسَبًا، وأفضلهم نسبا»[1]، فعن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[2].

ولم يزل ﷺ في سلسلة هذا النسب الشريف يتنقل من أصلاب الآباء الطيبين، إلى أرحام الأمهات الطاهرات، لم يمسّ نَسَبَه من سفاح الجاهلية شيء، فهو سلالة آباء كرام؛ فعن علي رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: (خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يُصْبني من سفاح الجاهلية شيء)[3].

ثانياً: ولادته ﷺ:

اتفق كُتَّاب السيرة على أنَّ رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول[4]، وأما تاريخ يوم ولادته فالمشهور أنه ولد في الثاني عشر من ربيع الأول[5]، وقيل: إن مولده ﷺ كان صبيحة يوم الاثنين، تاسع ربيع الأوّل[6]. وأمَّا عام ولادته فالأكثرون أنه عام الفيل[7]، وهو الصحيح؛ لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس

---

(١) المرجع السابق، (١/١١٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ، رقم الحديث (٢٢٧٦).

(٣) رواه الآجري في كتاب الشريعة، كتاب الإيمان والتصديق، باب: ذكر قول الله ﷻ: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٩)، رقم الحديث (١٤١٧/٣)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، (٦١٣/١).

(٤) انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر، لابن الجوزي، ص (١٤٠).

(٥) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٣٧٥/٣)، وأشرف الوسائل، لابن حجر الهيتمي، ص (٣٨).

(٦) هناك خلاف بين المؤرخين وأهل السير في تحديد يوم ولادته ﷺ. ينظر: المرجعين السابقين.

(٧) البداية والنهاية، لابن كثير (٣٧٥/٣)، وأشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، لابن حجر الهيتمي، =

ﷺ قال: «وُلِدَ النبي ﷺ عام الفيل»[1][2].

ولما وضعته أمُّه أرسلت إلى جَدِّهِ عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام، فأتاه ونظر إليه، فسماه محمدًا، ولم يكن هذا الاسم شائعًا عند العرب، فتعجبوا منه.

روى البيهقي عن أبي الحكم التنوخي رحمه الله أنَّه لما كان يوم السابع من ولادة رسول الله ﷺ ذَبح عنه جدّه، ودعا له قريشاً، فلمَّا أكلوا قالوا: يا عبد المطلب، ما سميته؟ قال: سميته محمدًا. قالوا: فلم رَغِبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله تعالى في السماء، وخَلْقُه في الأرض[3].

ثالثاً: رضاعه ﷺ:

أوَّل من أرضع رسول الله ﷺ من المراضع – بعد أمه – ثُوَيبة مولاة أبي لهب بلبن ابن لها يقال له: مسروح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب ﷺ،

=ص (٣٨).

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين، باب: ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، (٤١٨٠)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة، (٤٣٣/٧).

(٢) ومما يحسن التنبيه إليه هنا أن الاحتفال بمولده ﷺ بدعة لم يفعلها هو ﷺ، ولا أحد من أصحابه والتابعين، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، ومن المعلوم كذلك أنه ﷺ مات في نفس هذا اليوم، فكيف يُحْتَفل باليوم الذي مات فيه؟!، وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية (٨٥/٣ – ٨٦): «الاحتفال بالموالد من البدع المحدثة في الدين ولا فرق بين مولد النبي – عليه الصلاة والسلام – وغيره، فإن الرسول ﷺ أفضل الخلق وهو المعلم والناصح لم يحتفل بالمولد – عليه الصلاة والسلام – وهكذا خلفاؤه الراشدون لم يحتفلوا بالمولد، وهكذا بقية الصحابة ﷺ، وهم أعلم الناس وأكثر حُبًّا مِنا للنبي ﷺ وأعلم بالسُّنة ومع هذا لم يحتفلوا بالمولد، فدل ذلك على أنه بدعة، والبدع كلها ضلالة كما قال النبي ﷺ: (كل بدعة ضلالة)».

(٣) دلائل النبوة، للبيهقي (١١٣/١)، ونقله عنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣٨٩/٣).

وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي[1]. وأعتقها أبو لهب حين بشَّرته بولادته ﷺ[2].

ثمّ التمس عبد المطّلب لحفيده الذي كان أحبّ أولاده إليه، مُرْضَعًا من البادية، على عادة العرب[3]، فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن أطفالاً يرضعنهم، ومن بينهن حليمة السعديّة، فلمّا أخذته رأت من بركته ﷺ ما قصَّت منه العجب، تقول حليمة: «في سنة شَهْباء[4]، لم تُبْقِ لنا شيئا خرجتُ على أتان[5] لي قَمراء[6]، معنا شارف[7] لنا، والله ما تَبِضّ[8] بقطرة، وما ننام ليلَنا أجمعَ من صبيِّنا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يُغْنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، حتى قَدِمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منَّا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يَتيم، وذلك أنَّا إنما كنَّا نَرْجو المعروفَ من أبي الصبيّ، فكنَّا نقول، يتيم! وما عسى أن تَصْنع أمُّه وجدُّه؟! فكنَّا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قَدِمت معي إلا أخذت

---

(١) انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر، لابن الجوزي، ص (١٨)، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي (١/٣٧٥).

(٢) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٣/٤٠٧).

(٣) كان من عادة العرب أن يعهدوا بأطفالهم إلى نساء البادية ليقمن على رضاعتهن؛ لأن البادية أصلح لنمو أجسام الأطفال وأبعد عن أمراض الحضر، فضلاً عن إتقان اللغة وتعود النطق بالفصحى منذ نعومة أظفارهم.

(٤) سنة شهباء: ذات قحط وجدب، والشهباء: الأرض البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر من الشهبة وهي البياض، فسميت سنة الجدب بها. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (١/١٢٥٢).

(٥) الأتان: الحمارة الأنثى خاصة. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (١/٢٦).

(٦) القمراء: شديدة البياض.

(٧) الشارف: الناقة المسنة. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٤/١٧٠)، (٢/١١٤٢).

(٨) تبض: لا تقطر، ولا تسيل بقطرة لبن. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (١/٣٤٤).

رضيعًا غيري، فلمَّا أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجعَ من بين صَواحبي، ولم آخذ رضيعا، والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليَتيم فلآخذنَّه؛ قال: لا عليك أن تَفْعلي، عسى الله أن يجعلَ لنا فيه بركة. قالت: فذهبتُ إليه فأخذته، قالت: فلما وضعته في حِجْري أقبل عليه ثَدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنَّا ننام معه قبلَ ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحَلب منها ما شَرب، وشربتُ معه حتى انتهينا رِيًّا وشِبعًا، فَبِتْنَا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي - والله، يا حليمة - لقد أخذتِ نَسمةً مباركةً؛ قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا، وركبت أتاني، وحملتُه عليها معي، فوالله لقطعتْ بالرَّكب، ما يقدر عليها شيءٌ من حُمُرهم، حتى إن صَواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذُؤَيب، ويحك اربعي[1] علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى، والله، إنها لهي هي؛ فقلن: والله إن لها لشأنا[2].

رابعاً: حادثة شق صدره ﷺ:

وقعت حادثة شق صدر رسول الله ﷺ الأولى[3] في بادية بني سعد عندما كان طفلًا في الرابعة من عمره[4]؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل،

---

(١) أي: أرفقي وانتظري. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة «ربع».

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي (١/٤٥).

(٣) الصحيح أن حادثة شق صدر رسول الله ﷺ وقعت مرتين؛ الأولى في بادية بني سعد وهي المذكورة هنا، والثانية في ليلة الإسراء والمعراج، وسيأتي ذكر ذلك في الوحدة الخامسة من هذا الكتاب «من رحلة الإسراء والمعراج إلى الهجرة النبوية».

(٤) حادثة وقوع شق الصدر الأولى في السنة الرابعة هو الذي اختاره أكثر أصحاب السِّيَر؛ كالذهبي في تاريخ=

وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصَرَعه[1]، فشقَّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه عَلَقَةً، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله في طَسْتٍ[2] من ذهب بماء زمزم، ثم لَأَمَهُ[3]، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يَسْعَوْنَ إلى أمه - يعني ظِئْرَهُ[4] - فقالوا: إن محمدا قد قُتِل، فاستقبلوه، وهو مُنْتَقِعُ[5] اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك الْمِخْيَطِ في صدره[6].

ولا شك في أنّ التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوّة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه شيء إلَّا التوحيد، وقد دلَّت أحداث صباه على تحقق ذلك، فلم يرتكب إثما، ولم يسجد لصنمٍ رغم شيوع ذلك في قومه[7].

***

=الإسلام (١/ ٤٥)، وابن كثير في الفصول في السيرة، ص (٩٢)، والحافظ زين الدين العراقي في ألفية السيرة النبوية، ص (٣٦)، وغيرهم.

(١) الصرع الطرح بالأرض، وفي الحديث: (مثل المؤمن كالخامة من الزرع تصرعها الريح مرة، وتعدلها أخرى)، أي تميلها من جانب إلى جانب. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٣/ ٢٤)، ولسان العرب، مادة (صرع).

(٢) الطَّست: من آنية الصُّفْر. لسان العرب، مادة (طست).

(٣) لَأَمَهُ: جَمَعه وضمّ بعضه إلى بعض. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (٢/ ٢١٦).

(٤) الظئر: المرضعة غير ولدها. وهي هنا حليمة السعدية. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٣/ ١٥٤).

(٥) أي تغيّر لونه، يقال: انْتَقع لونه وامْتُقع إذا تغيّر من خوف أو ألم ونحو ذلك. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٥/ ١٠٩).

(٦) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ، رقم الحديث (٢٦١).

(٧) السيرة النبوية الصحيحة، لأكرم ضياء العمري (١/ ١٠٤).

الدروس المستفادة

- هيأ الله النفوس لاستقبال بعثة الرسول ﷺ بالآيات العظيمة والبشارات التي تدل على قدومه، حتى يتطلع الناس إلى ظهوره، ولأنَّ الأمر المتوقع إذا وقع سهل تقبله، وإذا جاء الشيء على غير توقع استنكرته النفوس.

- أنَّ الإيمان بالأنبياء السابقين يستلزم الإيمان بنبوة خاتم النبيين ﷺ؛ لأنَّ نبوته مقررة في التوراة والإنجيل، وفي ذلك إقامة للحجة على أهل الكتاب بوجوب الإيمان به ﷺ.

- عُلوِّ شأن الرسول ﷺ وعِظَم قدره، وفضله على الأنبياء كلهم، فقد بشَّر الله به في الكتب التي أنزلها على الأنبياء، وأخذ الميثاق عليهم لئن بُعث محمد، وهم أحياء، لَيؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه.

- أنَّ الفُرَقة والتنازع سبب للفشل والجبن والضعف، وتسلُّط الأعداء. فتفرُق العرب وتشتُتهم وعداواتهم القبلية كانت سببًا في ضعفهم أمام أبرهة وجنوده، واستسلامهم.

- عناية العرب باللغة العربية في الجاهلية؛ فقد كانوا يسترضعون أطفالهم في البادية؛ حتى ينشؤوا على اللغة السليمة واللسان الفصيح.

- أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة، لم يفعلها ﷺ ولا الخلفاء الراشدون ولا بقية الصحابة، وقد مضت القرون المفضلة الثلاثة ولم يحتفل بالمولد ولا فعله السلف الصالح.

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر:

١ – دلائل النبوة للبيهقي.

٢ – السيرة النبوية لابن هشام.

٣ – السيرة النبوية الصحيحة، أكرم العمري.

***

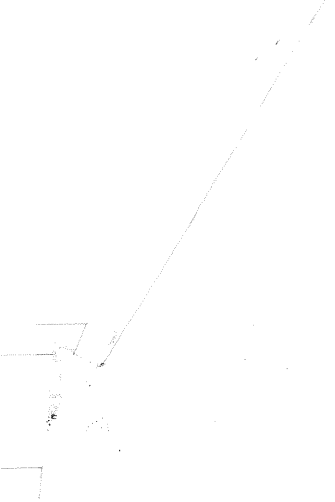

الوحدة الثالثة

حياته ﷺ من الطفولة إلى البعثة

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادرا على:

١ – الإلمام بالأعمال التي كان يعملها ﷺ قبل البعثة.

٢ – معرفة مشاركاته ﷺ في بعض الأحداث والوقائع.

٣ – بيان حِفْظ الله ﷻ لنبيه من دَنَس الجاهلية.

نشأته ﷺ يتيمًا

مات عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ في شبابه، وذلك حين خرج من مكة قاصدا الشام في تجارة، فلما قفل من الشام نزل بالمدينة، وهو مريض، وبها أخواله من بني النجار، فأقام بها حتى توفي، ودُفن فيها، فمات والرسول ﷺ «حَمْلٌ في بطن أمه على المشهور»[1]، قال ابن كثير: وهذا أبلغ اليتم وأعلى مراتبه[2].

وبعد وفاة والده عاش رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب، وجده عبدالمطلب بن هاشم في كلاءة اللَّه وحفظه، ينبته الله نباتا حسنا، فلما بلغ رسول الله ﷺ ستّ سنين، قدمت به أمه على أخواله من بني عديّ بن النجار بمدينة يثرب، تُزيره إياهم، وفي عودتها إلى مكّة أدركها الموت بمكان بين مكة والمدينة، اسمه الأبواء[3].

وبعد وفاة أمه ﷺ عادت أمّ أيمن[4] به إلى مكة، وسلَّمته إلى جدّه عبد المطلب، فكفله جَدُّهُ، وكان به حفيًا، يقربه منه ويدنيه، ويجلسه على فراشه في ظلّ الكعبة، ويلاطفه، لكن كفالته له لم تَدُم طويلا فما إنْ بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين، حتى مات جدُّه عبد المطلب.

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٣/٣٨٢). وصحح الإمام الذهبي هذا القول. انظر: تاريخ الإسلام (١/٥٠).

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير (٣/٣٨٣).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/١٦٨)، وزاد المعاد، لابن القيم (١/٧٥).

(٤) هي مولاة النبي ﷺ وحاضنته، وكانت لدى أمه، واسم أم أيمن: بركة بنت ثعلبة الحبشية. الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر (٤/٧٥).

وبعد وفاة جده عبد المطلب كفله عمه أبو طالب بن عبد المطلب شقيق والده، وكان شديد العطف عليه، يحيطه بكل صنوف الرعاية، مع قِلّة ماله وكثرة عياله، وكان يفضله على عياله في كل شيء، وظلّ طيلة حياته يعز جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويناضل الخصوم من أجله، حتى دافع عنه بعد مبعثه بيده ولسانه، مع أنه كان مستمراً على شركه إلى أنْ مات.

***

عمله ﷺ بالرعي والتجارة

أولاً: عمله ﷺ بالرعي.

رعى النبيُّ ﷺ الغنم في طفولته في بادية بني سعد مع إخوته من الرضاعة، ولما اشتد ساعده، وهو في كنف عمه أبي طالب، ورأى قِلّة ماله، وكثرة أولاده، رغب في مساعدته، فعمل في رعي الأغنام لأهل مكة مقابل قراريط، ورعاها لأهله أيضًا، وقد ذكر ذلك عن نفسه، وعن الأنبياء قبله، فقال ﷺ: (ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم)، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: (نعم، كنت أرعاها على قَرَارِيطَ لأهل مكة)[1]. والقيراط: جزء يسير من الدينار أو الدرهم، وهو أجرٌ زهيد، فكان ﷺ يقنع بالقليل الذي يعود عليه من كسبها.

والحكمة من اشتغال الأنبياء برعي الغنم خاصة أنهم إذا خالطوا الغنم زاد لهم الحلم والشفقة؛ فإنهم إذا صبروا على مشقة رعيها، ودفعوا عنها السبع الضارية واليد الخاطفة، وعَلِموا اختلاف طباعها، وصبروا على جمعها مع تفرقها في المرعى

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب: رعي الغنم، رقم الحديث (٢٢٦٢).

والمشرب، وعرفوا ضعفها واحتياجها إلى النقل من مرعى إلى مرعى، ومن مسرح إلى مسرح – عرفوا مخالطة الناس مع اختلاف أصنافهم وطباعهم، وقِلَّة عقول بعضهم ورزانتها، فصبروا على لحوق المشقة من الأمة إليهم، فلا تنفر طباعهم، ولا تملّ نفوسهم بدعوتهم إلى الدين؛ لاعتيادهم الضرر والمشقة[1].

ثانياً: عمله ﷺ بالتجارة:

اشتغل رسول الله ﷺ بالتجارة في شبابه، فأقام شراكة مالية بينه وبين رجل من قومه اسمه: السائب بن أبي السائب، وظهرت فيه أمانته ﷺ وسماحته وحسن تعامله، وشهد له بذلك شريكه السائب حين قدم على النبي ﷺ يوم الفتح، فقال: «كنتَ شريكي في الجاهلية، فكنتَ خيرَ شريك، كنتَ لا تُدَارِينِي، وَلَا تُمَارِينِي[2]»[3].

وقد شارك ﷺ في أكثر من رحلة تجارية خارج مكة، منها خروجه مع عمه إلى الشام في تجارة وهو ابن ثنتي عشرة سنة، وخروجه إلى الشام في تجارة لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها مع غلامها ميسرة، وفي هذه الرحلة رأى ميسرة ما بهره من شأنه ﷺ[4]، وملأ قلبه إعجابا وتقديرا. فلما قَدِم رسول الله ﷺ بتجارتها كان قد ربح

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري (٥/١٩٩١).

(٢) لا تُدَارِيني: من درأ: إذا دفع، ولا تماريني من المراء، وهو الجدال، والمراد أنه كان شريكا موافقا، لا يخالف ولا ينازع. انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، لمحمد بن عبد الهادي السندي (٢/٤٣).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب: الشركة والمضاربة، رقم الحديث (٢٢٨٧) وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (٥/٢٨٧).

(٤) انظر: الفصول في السيرة، لابن كثير، ص (٩٣ – ٩٤).

ضعف ما كانت تربح[1].

وكان ميسرة قد قصّ على سيدته ما رأى من شأنه ﷺ، فازدادت خديجة رضي الله عنها إعجابا به، ووجدت فيه ضالتها المنشودة، ورغبت في الزواج منه، وكانت يومئذ أرملة، بنت أربعين سنة على المشهور، وقيل غير ذلك، لكنها كانت أفضل نساء قومها نسباً وثروة وعقلاً، فوافق النبي ﷺ على طلبها، وبعث بأعمامه إلى وليها خاطبًا، وكان عمره إذ ذاك خمسا وعشرين سنة، فكانت أول امرأة تزوجها ﷺ، وكل أولاده منها سوى إبراهيم، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضي الله عنها.

وكانت رضي الله عنها نعم الزوجة تشاركه في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، وتواسيه بنفسها ومالها، وتعيش همومه، وتخفِّف عنه ما يصيبه، وعاشت معه رضي الله عنها وأرضاها خمساً وعشرين سنة، فحفظ لها رسول الله ﷺ وُدّها، ولم يحب أحدا مثل حبه لها[2].

***

مشاركته ﷺ في بعض الأحداث والوقائع

أولاً: مشاركته ﷺ في حرب الفِجَار بوقاية أعمامه:

سُمّيت هذه الحرب بحرب الفِجَار بسبب ما استحل فيها من حرمة الأشهر الحرم؛ كأن الناس فجروا فيها جميعا[3]، وكانت هذه الحرب بين قريش ومعهم كنانة وبين قيس عَيلان، وعُمر الرسول ﷺ خمسة عشر عاما على المشهور، وقد اشترك ﷺ

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١/١٣١)، وعيون الأثر، لابن سيد الناس (١/٦٣).

(٢) انظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر (٧/٦٠٣).

(٣) انظر: الروض الأنف، للسهيلي (٢/١٤٦ – ١٤٧).

في هذه الحرب دفاعًا عن أعمامه؛ حيث رُوي عنه ﷺ أنه قال: (كنت أنبل عن أعمامي)، أي: أردُّ عنهم نبل عدوهم إذا رموهم بها[1]، ومعنى ذلك أنه لم يَقدُم على القتال، بل كان درعًا واقية لأعمامه[2].

ثانياً: مشاركته ﷺ في حِلف الفضول:

حِلفُ الفضول هو عهدٌ وميثاقٌ يدعو إلى الدفاع عن الحقوق وحماية المستضعفين ونصرة المظلومين، وكان سببه أنّ رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل أحد أشراف قريش، فحبس عنه ثمنها، فاستغاث الزبيديّ بأشراف قريش، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل لمكانته، وانتهروه، فرقى الزبيدي على جبل أبي قُبَيْس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فصاح بأعلى صوته:

يَـا آلَ فِهْـرٍ لِمَظْلُـومٍ بِـضَاعَتُه ❖ بِـبَطْنِ مَكّـةَ نَـائِي الـدَّارِ وَالنَّفَـرِ

ومُحْرِمٍ أشْعَث لَـمْ يَقْضِ عُمْرَتَـهُ ❖ يَـا لَلرِّجَـالِ وَبـينَ الحِجْـرِ وَالْحَجَـرِ

إِنَّ الحَـرَامَ لِمَـنْ تَمَّـتْ كَرَامَتُـهُ ❖ وَلا حَـرَامَ لِثَـوْبِ الفَـاجِرِ الغُـدَر

فاستنهض هذا الشعر أهلَ مكة وسادتها، فنهض الزُّبَيْرُ بن عبد المطلب داعيًا إلى نجدة الزُّبيديِّ، فاجتمع رجال من ذوي المروءة والفتوّة في دار عبد الله بن جدعان فتعاقدوا، وتعاهدوا بالله لَيَكوننّ يدا واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يُؤَدّيَ إليه حقّه، ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيديّ، فدفعوها إليه، فسمّت قريش ذلك الحِلف «حِلفُ الفضول» وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/١٨٦).

(٢) انظر: الروض الأنف، للسهيلي (٢/١٤٧).

الأمر[1]، أي: قاموا بعمل فاضل.

وقد حضر النبيُّ ﷺ هذا الحِلف الذي رفعوا به منار الحق، وهدموا به صرح الظلم، وهو يعد من مفاخر العرب وعرفانهم لحقوق الإنسان[2]، وكان ﷺ مغتبطا بهذا الحِلف، متمسّكا به حتّى أثنى عليه بعد البعثة، فقال: (لقد شهدت في دار عبدالله بن جُدْعَانَ حلفا ما أحبّ أن لي به حمر النَّعَمِ، ولو أُدْعَى به في الإسلام لأجبت)[3].

ثالثاً: مشاركته ﷺ في تجديد بناء الكعبة المشرفة والتحكيم بين المختلفين:

لما بلغت سِنُّه ﷺ خمسا وثلاثين عاماً اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة لما أصابها من سيل جارف، صدَّع جدرانها بعد توهينها من حريق كان أصابها، فأرادت قريش هدمها؛ ليعيدوا بناءها ويرفعوها ويسقفوها؛ لأنها كانت قصيرة البناء، فوق القامة، ولم يكن لها سقف، فكانت عرضة لانتهاب نفائسها، واتفقوا على أن لا يدخل في بنائها إلا الطيّب من أموالهم، ولا يدخل فيها مال من ربا أو مهر بغي أو مظلمة، فقصرُت بقريش النفقة الطيّبة، فأخرجوا من الجهة الشمالية نحوا من ستة أذرع، وهي التي تُسمّى بالحِجْر والحطيم، وجعلوا لها بابًا واحدًا، ورفعوه من الأرض؛ لئلا يدخلها إلا من أرادوا، وسقفوها على ستة أعمدة.

وقد شارك الرسول ﷺ في بناء الكعبة، فكان ينقل الحجارة على كتفه، وليس

---

(١) انظر: الروض الأنف، للسهيلي (٢/٤٥) وما بعدها، والبداية والنهاية، لابن كثير (٣/٤٥٥) وما بعدها.

(٢) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، لمحمد أبي شهبة (١/٢١٤).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب جماع أبواب تفريق ما أخذ من أربعة أخماس الفيء غير الموجف عليه، باب: إعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به البداية، رقم الحديث (١٣٠٨٠)، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٧/٣٢٥).

عليه ما يتقي به أذى الحجارة[1].

ولما بلغ البنيان موضع الركن، اختصموا في الحجر الأسود، كلّ قبيلة تريد أن يكون لها هذا الشرف، وكادت تنشب بينهم حرب طاحنة، لولا أنهم اتّفقوا على أن يحكِّموا أوّل داخل عليهم من باب المسجد، فكان ﷺ هو أوّل داخل، فاستبشروا به، وقالوا: هذا محمّد، هذا الصّادق الأمين، رضينا به، فبسَط ﷺ رداءه، ووضع الحجر فيه، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، فرفعوه إلى موضعه، فتناوله ﷺ بيده المباركة، فوضعه في موضعه[2]. وبذلك انتهى النزاع والخصام، وحلّ الصفاء والوئام.

***

حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ قبل البعثة

نشأ رسول الله ﷺ محفوظا من الله تعالى، معصوماً من كل ما يمسّ عقيدته بسوء، فلم يُعظِّم صنماً قط، وقد أقسم مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه مرة على أن رسول الله ﷺ ما مسّ صنما حتى أكرمه الله بالوحي[3]، عاش بعيدا عن أقذار الجاهليّة وعاداتها، عصمه الله حتى من مجالس اللهو التي يقصدها الفتيان.

---

(١) خبر مشاركة النبي ﷺ في بناء الكعبة متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: بنيان الكعبة، رقم الحديث (٣٨٢٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب: الاعتناء بحفظ العورة، رقم الحديث (٣٤٠).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/١٩٢) وما بعدها، وعيون الأثر، لابن سيد الناس (١/٦٦).

(٣) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، لأكرم ضياء العمري (١/١١٧).

وكان عليه الصلاة والسلام مستمسكا بإرث أبويه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في حَجّهم ومناكحهم وبيوعهم[1]، فكان يقف مع الناس بعرفات، ولا يصنع ما تصنع قريش من وقوفها بالمزدلفة، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: (كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحُمْس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات، ثم يقف بها، ثم يفيض منها)[2].

وكان ﷺ أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأشدّهم حياء، وأكثرهم حلما، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، حتى ما عُرف في قومه إلّا بالأمين[3]. وكان ﷺ كما وصفته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بقولها: «إنك لتصلُ الرحم، وتصدق الحديث، وَتَحْمِلُ الكَلَّ[4]، وتكسب[5] المعدوم، وتَقْرِي الضيف[6]، وَتُعِينُ على نوائب[7] الحق»[8].

---

(١) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٢/٣٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (البقرة: ١٩٩)، رقم الحديث (٤٥٢٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب: في الوقوف وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (البقرة: ١٩٩)، رقم الحديث (١٢١٩).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/١٨٣).

(٤) الكَلّ: بالفتح: الثقل من كل ما يتكلف، والكل كذلك هو **من لا ولد له ولا والد ومن يكون عبئا على غيره.** انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/٣٥٣)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة «كل». والمعنى: إنك تقوم بشأن مَن لا يستقل بأمره، فتكفل اليتيم، وتعين الضعيف، وتحمل ثقل العجزة.

(٥) أي: أعنته على كسبه وجعلته يكسب. النهاية في غريب الحديث (٤/١٧١).

(٦) «قرى الضيف أي أضافه وأحسن إليه». لسان العرب، مادة (قرا).

(٧) النوائب جمع نائبة وهي ما ينوب الإنسان أي ما ينزل به من المهمّات والحوادث. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/١٢٣).

(٨) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ما ودعك ربك وما قلى، رقم الحديث=

والخلاصة أن حياة النبي ﷺ قبل البعثة كانت أمثل حياة وأكرمها، ثم نبّأه الله وبعثه، فنَمَت هذه الفضائل وترعرعت، وما زالت تسمو فروعها، وترسخ أصولها، وتتسع أفياؤها حتى أضحت فريدة في هذه الدنيا[1].

***

الدروس المستفادة

- المؤمن يعمل بجهده، ويكسب بيده، ولا ينتظر حسنات الناس؛ ولا يأنف من عمل مباح، فالأنبياء عليهم السلام اشتغلوا برعي الغنم، ولم يجلسوا متواكلين عالة على غيرهم.

- ينبغي للداعية أن يعتمد في معيشته على جهده – بعد الله –، وأن يستعفَّ عما في أيدي الناس، ولذلك أمر الله رسوله ﷺ بأن يقول لأمته: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام: ٩٠).

- رعي الأغنام يورث التواضع، والمتواضع قريب من الله، وقريب من الناس، وأجدر بحمل الرسالة ومهمة الدعوة.

- الدين والخُلُق أساس اختيار أحد الزوجين لصاحبه، فقد تزوج ﷺ من أرملة تكبره في السن، لكنها اتصفت بالعفّة والشرف، وعُرفت بين قومها بالطاهرة، فكانت نعم الزوجة، حتى أصبحت مِنْ خير نساء العالمين بخُلُقِها وحسن تعاملها.

- المسلم يكون قدوةً ومؤثرا في مجتمعه، يشاركهم في أمور الخير والفضائل، فقد

=(٤٩٥٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي، رقم الحديث (١٦٠).

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، لمحمد أبي شهبة (١/ ٢٣٩).

شارك النبي ﷺ في بناء الكعبة، وشهد غير ذلك من مآثر قومه في الجاهلية.

- المسلم مطالب بالوقوف مع كل من أراد إقامة العدل ونُصرة الحق ودفع الظلم، فقد شارك النبي ﷺ في حِلف الفضول لنصرة المظلومين والمطالبة بحقوقهم في الجاهلية، وقد مدحه النبي ﷺ بعد الإسلام، وقال: (ولو أُدْعَى به في الإسلام لَأَجَبْتُ)[1].

- الإنسان بفطرته السليمة يدرك حرمة الربا، والأموال المأخوذة ظلما والمكاسب الخبيثة؛ كمَهْر الْبَغِيِّ، وثمن الخمر؛ ومن أجل ذلك امتنع العرب في الجاهلية من إدخالها في بناء البيت الحرام.

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر:

١ – عيون الأثر، لابن سيد الناس.

٢ – السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة. لمحمد محمد أبي شهبة.

٣ – السيرة النبوية الصحيحة، أكرم العمري.

***

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب جماع أبواب تفريق ما أخذ من أربعة أخماس الفيء غير الموجف عليه، باب: إعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به البداية، رقم الحديث (١٣٠٨٠)، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٣٢٥/٧).

الوحدة الرابعة

بعثة النبي ﷺ وبدايات الدعوة في العهد المكي

أخي الطالب / أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادرا على:

١ – معرفة الأحداث التي صاحبت بعثته ﷺ.

٢ – معرفة ما وقع من الشدائد على النبي ﷺ وأصحابه.

٣ – معرفة المراحل التي مرّت بها دعوة النبيّ ﷺ.

نزول الوحي ومراحل الدعوة

أولاً: نزول الوحي:

مَهّد اللهُ ﷻ قبل نزول الوحي إلى رسول الله ﷺ بالرؤيا الصادقة، فكان لا يرى شيئاً في المنام إلا كان كما رأى، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أول ما بُدِئَ بِهِ رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَقِ الصبح»[1].

ولما بلغ ﷺ سنّ الكمال – وهي أربعون سنة – جاءه جبريل عليه السلام وهو في غار حِراء في يوم الاثنين من شهر رمضان المبارك[2] وتُحدِّث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن بَدْءِ نزول الوحي، فتقول: «جاءه المَلَك، وهو في غار حراء فقال: اقرأ، قال: (ما أنا بقارئ)، قال: (فأخذني، فَغَطَّنِي حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فَغَطَّنِي الثانية حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فَغَطَّنِي الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب: أول ما بدئ به رسول الله، رقم الحديث (٦٩٨٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي، رقم الحديث (١٦٠). ومعنى فلق الصبح: أي ضوءه وإنارته، والمقصود أنه ﷺ كان يرى الرؤيا فتأتي مبينة مثل مجيء الصبح في غاية الوضوح والبيان. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤٧١/٣).

(٢) تحديد البعثة بيوم الاثنين يدل عليه حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين؟ قال: (ذاك يوم وُلِدْتُ فيه، ويوم بُعِثْتُ أو أُنْزِلَ عَلَيَّ فيه). رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم الحديث (٢٨٠٤). وأما كونها في شهر رمضان فهو المشهور؛ بناء على أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن، وهو الذي اختاره ابن إسحاق. انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٢٣٥/١)، والبداية والنهاية، لابن كثير (١٥/٤).

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ (العلق: ١ – ٣)، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف[١] فؤاده، فدخل على خديجة رضي الله عنها، فقال: (زَمِّلُوني زَمِّلُوني)، فقال لخديجة رضي الله عنها وأخبرها الخبر: (لقد خشيتُ على نفسي)، فقالت خديجة رضي الله عنها: كلا، والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وَتُعِينُ على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة رضي الله عنها حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة رضي الله عنها، وكان امرأ تَنَصَّرَ في الجاهلية، وكان يكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، فقالت له خديجة رضي الله عنها: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ، فقال له ورقة: هذا الناموس[٢] الذي نَزَّلَ الله على موسى، ليتني أكون حيّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: (أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ)، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مُؤَزَّرًا. ثم لم يَنْشَبْ[٣] ورقة أن توفي، وفَتَر الوحي»[٤]. أي: سكن، وَتَأَخّر نُزُوله.

ثانياً: الدعوة السرية:

بعد نزول آيات المُدَّثِر قام رسول الله ﷺ يدعو مَن يثق به مِن أهله وأصدقائه إلى عبادة الله وحده ونبذ الأصنام سراً، وذلك لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيّجهم، وينافي

---

(١) الرجف: الحركة والاضطراب. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/٢٠٣).

(٢) الناموس صاحب سرِّ الملك، وقيل: صاحب سرِّ الخير، وأراد به جبريل عليه السلام لأن الله تعالى خصّه بالوحي والغيب اللذين لا يطلع عليهما غيره. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/١١٩).

(٣) أي لم يَلْبث. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/٥٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم الحديث (٣)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي، رقم الحديث (١٦٠).

معتقداتهم، فيقفون عقبة في طريق الدعوة إلى الإسلام من أول الأمر، فكان من الحكمة أن يكتم أمره حتى تتكوَّن مجموعة تنتصر للدعوة، وتصبر على أذى الأعداء.

وقد استجاب لرسول الله ﷺ نفر من الصادقين، فكانت خديجة رضي الله عنها أوّل الناس إيمانا بالله وبرسوله، ووقفت بجواره، تؤازره وتواسيه، وتخفّف عنه، ثمّ أسلم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو يومئذ ابن عشر سنين، وهو أول مَن آمن مِن الصبيان، وأسلم زيد بن حارثة حِبّ رسول الله ﷺ، وهو أوّل مَن آمن مِن الموالي.

وأسلم أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، وهو أول مَن آمن مِن الرجال. ثم دخل الناس في الإسلام أرْسالًا من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وَتُحدّثَ به[1]. واستمرت الدعوة سِرّية ثلاث سنوات على المشهور[2].

ثالثاً: الجهر بالدعوة:

انتهت مرحلة الدعوة السرية بنزول قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الْحِجْرِ: ٩٤)، فامتثل الرسول ﷺ أمر ربّه، وأظهر الدّعوة إلى الله تعالى، ولما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشُّعَرَاء: ٢١٤) خرج رسول الله ﷺ حتى صعد جبل الصفا، ونادى بأعلى صوته: يا صباحاه[3]، فاجتمعت إليه

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/ ٢٤٩ – ٢٦٢)، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، لمحمد أبي شهبة (١/ ٢٨٣) وما بعدها.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/ ٢٦٢)، وتلقيح فهوم الأثر، لابن الجوزي (١/ ١٩)، وزاد المعاد، لابن القيم (١/ ٨٤).

(٣) يا صباحاه: هذه كلمة يقولها المستغيث، وأصلها إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا يُغيرون عند الصباح ويسمون يوم الغارة يوم الصباح فكأن القائل يا صباحاه يقول قد غشينا العدو. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٣/ ٦ – ٧).

قريش، فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟) قالوا: نعم، ما جَرَّبْنَا عليك إلا صِدْقًا، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، فقال أبو لهب: تَبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جَمَعْتَنَا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ (المسد: ١ - ٢)[1].

ولم تواجه قريش رسول الله ﷺ في أول الأمر، ولم تناصبه العداء حتّى ذكر آلهتهم التي يعكفون على عبادتها بسوء، وبيّن أنها لا تملك ضرّا ولا نفعا، فحينئذ اشتدّ ذلك عليهم، وأجمعوا له الشّرّ، وبدأ طور المحنة والبلاء، فأوذي النبي ﷺ أشد الإيذاء، قال ﷺ: (لقد أُخِفْتُ في الله وما يُخَافُ أحد، ولقد أُوذِيتُ في الله وما يُؤْذَى أحد)[2].

وأما الصحابة رضي الله عنهم فقد تجرعوا ألوانا من الظلم والعذاب، ولم يُثْنِهم ذلك عن دين الله شيئا، فمن هؤلاء آل ياسر الذين كان المشركون يخرجونهم إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، ويلبسونهم دروع الحديد المحماة بالنار، فمرّ بهم النبيّ ﷺ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، رقم الحديث (٤٧٧٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، رقم الحديث (٢٠٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢١/٤٤٣)، (١٤٠٥٥)، والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، رقم الحديث، (٢٤٧٢)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/٢٦٠). وقوله ﷺ: (لقد أخفت في الله وما يخاف أحد)، أي: هددت وتوعدت بالتعذيب والقتل بسبب إظهار الدعاء إلى الله وإظهار دين الإسلام (وما يخاف أحد)، أي: خوفت في الله وحدي وكنت وحيدًا في ابتداء إظهاري للدين فآذاني الكفار بالتهديد والوعيد الشديد فكنت المخصوص بينهم بذلك في ذلك الزمان، ولم يكن معي أحد يساعدني في تحمل أذيتهم.

وهم يعذّبون فقال: (صبرا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة)[1]، ومنهم بلال بن رباح ﷺ، فقد لاقى من صناديد قريش أنواعًا من الأذى، حتى إنهم ألبسوه أدرع الحديد، وصهروه في الشمس المحرقة[2].

وفي وسط هذه الشدائد قيض الله عمه أبا طالب لمؤازرته ومناصرته فكان يقف لقريش بالمرصاد، حتى إن قريشاً بعثوا إليه وفدا من أشرافهم؛ ليقنعوه بالتخلي عن إسناده وحمايته، وعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، فبعث إلى رسول الله ﷺ يحدثه في ترك أمره، فقال ﷺ: (ما أنا بقادر على أن أدع ما بُعثت به من أن يشتعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار، فقال أبو طالب: والله ما كذب قط، ارجعوا راشدين)[3]. ثم قام ﷺ، فلما وَلّى ناداه أبو طالب، فقال: اذهب، يا بن أخي، فقل ما أحببت، فو الله لا أُسْلِمُكَ لشيء أبدا[4].

***

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر مناقب عمار بن ياسر ﷺ، (٣/٤٣٢)، وصححه الألباني في فقه السيرة، ص (١١١).

(٢) خبر صبر الصحابة على الأذى وثبات بلال ﷺ؛ رواه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ، رقم الحديث، (٥٢٣٨)، والحديث صححه الألباني في صحيح السيرة النبوية ص (١٢١).

(٣) أخرج هذه القصة الطبراني بسند حسن في المعجم الأوسط (٨/٢٥٣)، رقم الحديث (٨٥٥٣).

(٤) دلائل النبوة، للبيهقي (٢/١٨٨)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٤/١٠٨).

المسلمون بين هجران الديار ومرارة الحصار

أولاً: الهجرة إلى الحبشة:

لما اشتدّ أذى المشركين على من آمن، وضاقت أرض مكة عليهم، قال لهم رسول الله ﷺ: (إنَّ بأرضِ الحبشةِ مَلِكاً لا يُظلمُ أحدٌ عنده، فالحقُوا ببلادِه حتّى يجعل اللهُ لكم فرجاً ومخرجاً مّما أنتُم فيهِ)[1]. فخرجت عند ذلك جماعة من المسلمين إلى أرض الحبشة؛ في رجب من السنة الخامسة من البعثة، وعددهم أحد عشر رجلا، وأربع نسوة على المشهور[2]، فأقاموا في خير جوار من النجاشي. لكن بلغهم بعد حين أن قريشا أسلمت، فعاد منهم قوم. فلما قَدِمُوا إلى مكة بلغهم أن خبر إسلام أهل مكة كان كذبا، فرجع منهم من رجع إلى الحبشة، ودخل جماعة مكة، فلقوا من قريش أذى شديداً، فأذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة ثانية. وكان عدد المهاجرين في هذه المرة ثلاثة وثمانين رجلاً وثمان عشرة امرأة. فأقاموا عند النجاشي على أحسن حال[3].

ثانياً: المقاطعة العامة والحصار الاقتصادي:

أيّدَ الله نبيه بإسلام حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فأفزع ذلك قريشا لما رأوا عز الإسلام بهما ونصر ملك الحبشة للمسلمين، فأجمعوا على أن يقتلوا

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب الإذن بالهجرة، رقم الحديث (١٧٧٣٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٧/٧).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١٨٨/٧).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٣٣٠/١) وما بعدها، وزاد المعاد، لابن القيم (٩٥/١).

النبي ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب، فطلب من بني عبد مناف أن يناصروه في منع النبي ﷺ، ولم يجبه من بني عبد مناف إلا بنو المطلب الذين كانوا مع بني هاشم جاهلية وإسلاما.

فلما رأت قريش ذلك تحالفت على بني هاشم وبني المطلب، أن لا يُناكحوهم، ولا يُبايعوهم، ولا يُكلّموهم حتى يُسْلِمُوا إليهم النبي ﷺ ليقتلوه[1]، وكتبوا بذلك صحيفة، وعلقّوها في جوف الكعبة، وذلك في محرّم سنة سبع من البعثة.

وأقام بنو هاشم على ذلك حتّى جَهدوا من شدة الحصار، واشتد عليهم البلاء، وأكلوا ورق السَّمُر، وقد مكثوا على ذلك نحو ثلاث سنوات، لا يصل إليهم شيء إلا سرّا، ممن أراد صلتهم من قريش.

وكانت قريش في ذلك بين راض وكاره، فسعى في نقض الصحيفة مَن كان كارها لها، وكان القائم بذلك هشام بن عمرو، فقد مشى في ذلك إلى المُطْعِم بن عدي وجماعة من قريش، فأجابوه إلى ذلك، ثم أطْلَعَ اللهُ رسولَهُ على أمر صحيفتهم، وأنه أرسل عليها الأَرضَةَ[2]، فأكلت جميع ما فيها من جَوْر وقطيعة وظُلم إلا ذكر الله ﷻ فخرج أبو طالب إلى قريش، فأخبرهم أن ابن أخيه قد قال: كذا وكذا، فإن كان كاذبا خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت، فأنزلوا الصحيفة، فلما رأوا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ ازدادوا كفرا إلى

---

(١) خبر تحالف قريش: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب: نزول النبي ﷺ مكة، رقم الحديث (١٥٩٠).

(٢) الأَرَضَة: نوعان: نوع صغار مثل كبار الذر، وهي آفة الخشب خاصة، ونوع مثل كبار النمل ذوات أجنحة وهو آفة كل شيء من خشب ونبات غير أنها لا تعرض للرطب. انظر: لسان العرب، مادة (أرض).

كفرهم، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشِّعْب في السنة العاشرة من البعثة[1].

***

عام الحزن ومحنة الطائف

أولاً: عام الحزن:

لم تَمْضِ مدة طويلة على خروج المسلمين من الحصار حتى مرض أبو طالب، واشتد مرضه، فلم يلبث أن وافته المنية في رجب، سنة عشر من البعثة، بعد الخروج من الشعب بستة أشهر، وكان رسول الله ﷺ حريصًا أشد الحرص على إسلام عمه، ولما أشرف على الموت أتاه يدعوه للإسلام، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن مِلّة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبىَ أن يقول لا إله إلا الله. قال: قال رسول الله ﷺ: والله لاستغفر لك ما لم أُنه عنك، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة: ١١٣)، وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (القصص: ٥٦)[2].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/ ٣٥٠) وما بعدها، وزاد المعاد، لابن القيم (٣/ ٢٦ – ٢٨)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٤/ ٢٠٧) وما بعدها.

(٢) خبر أبي طالب متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء»، رقم الحديث (٤٧٧٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضر الموت، رقم الحديث (٢٤).

ولم تَمْضِ إلا أيامٌ قلائل على موت أبي طالب حتى فُجِعَ رسولُ الله ﷺ بموت أحب الناس إليه، «فتوفيت خديجة رضي الله عنها، قبل مخرج النبيّ ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين»[1]، سنة عشر من البعثة، وهي يومئذ بنت خمس وستين سنة على المشهور[2]، فحزن عليها رسول الله ﷺ حزناً شديداً، وظل يذكرها بعد موتها، ويترحَّم عليها، ويُكْرِم صديقاتِها؛ وفاءً لها.

وقد عظمت المصيبة على رسول اللَّه ﷺ بموت هذين النصيرين، فقد كانت خديجة رضي الله عنها له وزير صدق على الإسلام، يشكو إليها فتعينه في أمره وتثبته، وكان أبو طالب، عَضُدًا له وَحِرْزًا وَمَنَعَةً وناصرًا على قومه، فلما مات نالت قريش منه ﷺ ووقع من أذاها ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، واشتهر هذا العام عند أهل التاريخ والسير بعام الحزن؛ وذلك لتوالي الأحزان والآلام فيه على رسول الله ﷺ، وشدتها عليه، ولم يثبت أنَّ النبيَّ ﷺ سمَّاه بهذا الاسم.

ثانياً: محنة الطائف:

لما اشتدّ أذى قريش على الرسول ﷺ بعد وفاة عمه وزوجه، وجاهروه بالبغي والعدوان، أخذ ﷺ يبحث عن بلد آخر يقبل دعوته، وينصر دين ربه، فتوجه إلى الطائف ماشيًا، ومعه مولاه زيد بن حارثة، ولما انتهى إلى الطائف عَمِد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادتها وأشرافها، فجلس إليهم، ودعاهم إلى الله، وكلَّمهم بما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي ﷺ عائشة، رقم الحديث (٣٨٩٦).

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (١/٣٨)، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي (٢/٤٣٤).

جاءهم من أجله، فردُّوا عليه رداً مُنْكَراً. فقام رسولُ اللهِ ﷺ من عندهم، وقد يئس منهم، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاء إليه وكلّمه، فلم يجيبوه، وخافوا على أحداثهم منه، فقالوا: يا محمد، اخرج من بلدنا. وَأَغْرَوْا به سفهاءهم وعبيدهم يسبُّونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس ووقفوا صفَّين على طريقه، يرمونه بالحجارة حتى أدموا رجليه، وزيد بن حارثة رضي الله عنه يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، فلما ابتعد عن الطائف لجأ إلى حديقة مملوكة لعتبة وشيبة ابني ربيعة، فاحتمى بها، وجلس في ظل شجرة من أشجارها، وقد أجهده التعب، وضاق صدره، واشتد به الكرب والبلاء.

فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي النبي ﷺ تحركت له رَحِمُهُمَا، فَدَعَوا غلاما لهما نصرانيا يقال له: عَدَّاس، فقالا له: خذ قِطفًا من هذا العنب، ثم اذهب به إلى هذا الرجل، فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: (بسم الله)، ثم أكل، فنظر عدَّاس في وجهه مستغربًا، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد!! فقال له رسول الله ﷺ: (ومن أيِّ البلاد أنت يا عدَّاس، وما دينك)؟ قال: نصراني، وأنا من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ: (من قرية الرجل الصالح يونس بن متَّى؟ فقال له عَدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: (ذاك أخي، كان نبيًّا، وأنا نبيّ). فَأَكَبَّ عَدَّاس على رسول الله ﷺ يُقَبِّل رأسَه، ويديْه، وقدميْه!![1].

ثم انصرف رسولُ اللهِ ﷺ راجعًا إلى مكة، وهو مهموم النفس مكلوم الفؤاد؛ وفي الطريق نزل رسول الله ﷺ بوادي نخلة، فقام يصلي من الليل، فصُرِف إليه نفرٌ

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٤٢١/١)، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي (٤٣٨/٢).

من الجنّ، فاستمعوا له، وأسلموا.

وأقام رسول الله ﷺ بنخلة أيامًا، ثم أراد الرجوع إلى مكة، فأرسل رجلاً من خزاعة إلى المطعم بن عدي ليجيره، فأجابه إلى ذلك، ودعا بنيه وقومه، وقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أَجَرْتُ محمدا. فدخل رسول الله ﷺ، ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه، حتى انتهى إلى المسجد الحرام فاستلم الركن وصلى ركعتين[1].

***

الدروس المستفادة

- العلم شعار الإسلام الأول، فأوَّل ما نزل من كتاب الله تعالى الأمر بالعلم والقراءة.

- افتتاح القراءة بـ«بسم الله» تعالى يدلُّ على أهمية ارتباط العلم بالإيمان وأنه لا قيمة للعلم بدونه.

- مكارم الأخلاق سبب للسلامة من مصارع الشر والمكاره، فقد استبشرت خديجة رضي الله عنها بنصرة نبي الله لما عرف به في الجاهلة من محاسن الأخلاق.

- لا بدَّ للداعية أن يتحلّى بالصبر على الأذى، ولا يضيق صدره بذلك أسوة بنبينا محمد ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام، وحتى يكسب قلوب العباد ويجعلهم مقبلين عليه، راغبين في دعوته.

- الدين أغلى وأسمى من كل شيء في الوجود، فإذا كان المسلم ببلد يُفتن فيه في إيمانه، ويُمنع من إقامة شعائر دينه شُرعت له الهجرة إلى بلد آخر.

---

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم (٣/٣٠)، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي (٢/٤٤٠).

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر:

١ – زاد المعاد لابن القيم.

٢ – الفصول في السيرة لابن كثير.

٣ – سبل الهدى والرشاد، للصالحي.

***

الوحدة الخامسة

أحداث ووقائع من العهد المكي

- **الإسراء والمعراج.**
- **عرضه ﷺ الإسلام في المواسم، ومبايعة أهل يثرب له.**
- **هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة.**

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع - بعد دراستك لهذه الوحدة - أن تكون قادرا على:

١ - الإلمام بتفاصيل قصة الإسراء والمعراج.

٢ - معرفة ما قام به الرسول ﷺ من تضحيات في سبيل الدعوة إلى دين الله وما لاقاه في سبيل ذلك.

٣ - الوقوف على بعض البراهين التي أيدَّ الله بها نبيه ﷺ.

الإسراء والمعراج

الإسراء[1]: هو ذهاب الرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

والمِعْراج[2]: هو الصعود بالرسول ﷺ من بيت المقدس إلى السموات السبع، وما فوقها، حتى بلغ سِدْرة المنتهى.

وكانت حادثة الإسراء والمعراج منحة ربانية لنبيه ﷺ، ورفعاً لقدره، ودفعاً لما أَلَمَّ به من أتراح وآلام؛ إذ كانت بعد فقد الناصر الحميم، وهو أبو طالب، وفقد زوجته خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وبعد ما ناله من سفهاء الطائف وصبيانها من أذى وابتلاء.

وقد بدأت رحلة الإسراء والمعراج بشقِّ صدره ﷺ، وغسله بماء زمزم، وإفراغ الحكمة والإيمان في صدره[3]، وذلك ليتأهب للمناجاة، ويحمل ما يلقى إليه.

ثم أُسْرِيَ برسول الله ﷺ بجسده وروحه – على الصحيح – من المسجد الحرام إلى البيت المقدس راكبًا على البراق بصحبة جبريل عليه السلام فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب، ودخله، فصلّى فيه ركعتين. ثم أتى المعراج – وهو كالسُّلم ذو درج يرقى فيها – فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السماوات السبع وكان

---

(١) الإسراء: السُّرى: السير بالليل، يقال: أسْرَى يُسري إسراءً. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٣٦٤/٢).

(٢) المِعْرَاج: بالكسر شبه السُّلّم، مِفْعال من العروج: الصعود. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢٠٣/٣).

(٣) خبر ذلك متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم الحديث (٣٤٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله، رقم الحديث (١٦٣).

جبريل يستفتح فيفتح له، وسلّم عليه الأنبياء عليهم السلام الذين في السماوات بحسب منازلهم ودرجاتهم، حتى مرَّ بموسى الكليم في السادسة، وإبراهيم الخليل في السابعة، ثم جاوز منزلتهما ﷺ، حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف[1] الأقلام، أي: أقلام القدَر بما هو كائن، ورأى سِدْرة المنتهى، وغشيها من أمر الله تعالى، عَظَمَةٌ عظيمة، من فَرَاشٍ مِنْ ذهبٍ، وألوان متعددة، وَغَشِيَتْهَا الملائكة، ورأى البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. ورأى الجَنّة والنار، وفرض الله ﷻ عليه هنالك الصلوات خمسين، فقال له موسى: ارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف؛ فإن أُمَّتك لا يطيقون ذلك، فخفَّفَها الله إلى خمس؛ رحمةً منه ولطفا بعباده. ثم هبط إلى بيت المقدس، وصلّى فيه بالأنبياء؛ إظهارا لشرفِه وفضلِه عليهم بتقديمه في الإمامة، ثم خرج من بيت المقدْس، فركب البُراق[2]، وعاد إلى مكة بِغَلَس[3].

ولما أصبح الرسول الله ﷺ في قومه أخبرهم برحلة الإسراء والمعراج وبما أراه الله ﷻ من آياته الكبرى، فاشتدَّ تكذيبهم له وأذاهم، واستنكروا أن يذهب إلى بيت المقدس، ويرجع في ليلة واحدة، فسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، ولم يكن رآه قبل هذه الليلة، فَجَلَّاهُ الله له حتى عَايَنَهُ، فَطَفِقَ يخبرهم عنه، ولا يستطيعون أن يردوا

---

(١) أي صوت جَرَيَانها بما تكتبه مِنْ أقضية الله تعالى ووحيه، وما ينتسخونه من اللوح المحفوظ. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/٢٥).

(٢) البُرَاق: هي الدابة التي ركبها ﷺ ليلة الإسراء، سُمّي بذلك لِنُصوع لوْنه وشِدّة بَرِيقه. وقيل: لسرعة حركته شَبَّهه فيهما بالبرق. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/١٢٠).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٤٣). وانظر حادثة الإسراء والمعراج مفصلة في: صحيح البخاري وصحيح مسلم، في الموضعين المتقدمين آنفًا.

عليه شيئا، وأخبرهم بالعير التي رآها وهي لهم وأنها تصل يوم كذا فوصلت كما قال ﷺ[1].

واشتملت هذه الرحلة النبوية الغيبية على إشارات حكيمة بعيدة المدى، فأعلنت أنّ محمدًا ﷺ هو نبيّ الثّقلين، وإمام المشْرق والمغْرب، ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده، فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكّة بالقدس، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى، وصلّى الأنبياء خلفه، فكان هذا إيذانًا بعموم رسالته وخلود إمامته[2].

وقد اختلف في تعيين زمن الإسراء والمعراج على أقوال شتى، ومما لا شك فيه أنه كان بعد البعثة، في أواخر العهد المكيّ، وقال الحافظ ابن رجب: كان قبل الهجرة بثلاث سنين، وهو أشْهَر[3].

***

عرضه ﷺ الإسلام في المواسم ومبايعة أهل يثرب له

أولاً: عرض الإسلام في المواسم:

كان رسول الله ﷺ يعرض دينه على قبائل العرب في مواسم الحجّ وفي أسواقهم وتجمّعاتهم، يتلو عليهم كتاب الله، ويدعوهم إلى الإسلام، فيقول: (يا أيها الناس،

---

(١) خبر ذلك متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، رقم الحديث (٤٧١٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم، رقم الحديث (١٧٢).

(٢) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي ص (١٤٨).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب (٣٠٧/٢).

قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا)[1]، ويطلب منهم النُصرة والإيواء، فيقول: (مَن يؤويني؟ من ينصرني، حتى أُبلِّغَ رسالة ربي، وله الجنّة؟)[2]، وكان أبو لهب وأبو جهل يتبعانه بالتناوب، ويشتمانه ويؤذيانه، ويُحذّران الناس منه[3].

وبينما كان رسول الله ﷺ يَعْرض دينه على قبائل العرب في موسم الحج، لقي عند العقبة رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فدعاهم إلى الله ﷻ، وَعَرَضَ عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان اليهود يجاورونهم في بلادهم، وكانوا إذا حصل بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيا مبعوث الآن، قد أَظَلَّ زمانه، نَتَّبِعُهُ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرَم، فلما كلَّم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون – والله – إنه لَلنَّبِيُّ الذي تَوَعَّدَكُمْ به اليهود؛ فلا تسبقنَّكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه وصدَّقوه[4]. وكانوا ستة نفر.

فلما قَدِموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ، ودَعَوْهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ[5].

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الوضوء، باب ذكر الدليل على أن الكعبين اللذين أمر المتوضئ بغسل الرجلين إليهما العظمان الناتئان، رقم الحديث (١٥٩)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢٨٢/٩).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٤٧/٢٢) رقم الحديث (١٤٤٥٦). وقال الحافظ ابن حجر: «إسناده حسن». انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٢٢/٧):

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٤٨/٢٧)، رقم الحديث (١٦٦٠٣). وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». تنظر: مجمع الزوائد (٢٢/٦).

(٤) دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني (٢٩٨/١)، ودلائل النبوة، للبيهقي (٤٣٤/٢).

(٥) سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٤٣٠/١).

ثانياً: بيعتا العقبة:

لما كان موسم الحج من العام المقبل قَدِم على النبي ﷺ اثنا عشر رجلا من الأنصار، عشرة من الخزرج، واثنان من الأوس، فأسلموا، وبايعوا رسول الله ﷺ عند العقبة، يقول عُبادَة بن الصَّامِت رضي الله عنه - وكان من النُّقَبَاءِ الذين شهدوا بيعة العقبة -: «بايعتُ رسول الله ﷺ في رَهْطٍ، فقال: (أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تَسْرقوا، ولا تزنوا، ولا تَقْتُلوا أولادكم، ولا تأتوا بِبُهْتَانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وَفَى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا، فَأُخِذَ به في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن ستره الله فذلك إلى الله، إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له)[1]. وكانت هذه بيعة العقبة الأولى.

فلمّا همَّ القوم بالانصراف بعد البيعة بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه، وأَمَره أن يقرئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام، ويصلّي بهم[2]. فأسلم على يده خلق كثير من الأنصار وانتشر الإسلام في المدينة[3].

وبقي رسول الله ﷺ في مكة يُلاقي عنت قريش وأذاها الذي كان يشتدّ على مَرِّ الأيام، وحزَّ ذلك في نفوس الأنصار، فاجتمعوا، وقرّروا أن يأتوا برسول الله ﷺ إلى المدينة، فقدم إلى مكة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان للقاء رسول الله ﷺ،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب: توبة السارق، رقم الحديث (٦٨٠١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب: الحدود كفارة لأهلها، رقم الحديث (١٧٠٩). واللفظ للبخاري.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/٤٣٤).

(٣) انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير ص (٦٩)، والمواهب اللدنّية بالمنح المحمدية، للقسطلاني (١/١٦٥).

فقالوا: يا رسول الله، علَامَ نُبَايِعُكَ؟ قال: (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله، لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني، فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة)[1]، فبايعوه على ذلك، وكان هذه بيعة العقبة الثانية.

وبعد هذه البيعة رأى النبي ﷺ دار الهجرة في منامه، فكان ذلك وحياً من الله وإيذانًا له ﷺ بأن يأمر أصحابه بالهجرة إليها، فأذن لهم بالخروج إلى المدينة. فخرجوا إليها أرسالا[2]، فارين بدينهم تاركين الدنيا خلف ظهورهم[3].

***

هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة

أولاً: مؤامرة دار الندوة ونجاة الرسول ﷺ من كيد المشركين:

لما رأت قريش أن الإسلام أضحى له في يثرب دارٌ يتحصن بها، توجَّست خيفة من خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وخشوا أن يقطع أهل المدينة طريق تجارتهم إلى الشام، فاجتمع أشرافهم في دار الندوة يتشاورون في أمر النبي ﷺ، وحَضَرهم

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/١٢٧١٨) (١٤٣٩٣)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٢٤)، وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن الكبرى (٨/١٤٦).

(٢) أرسالاً: أي أفواجًا وفِرَقاً متقطعة، يتبع بعضها بعضًا واحدهم رَسَلٌ بفتح الراء والسين. انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢/٢٢٢).

(٣) خبر رؤية رسول الله ﷺ دار الهجرة، في صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٦٨٤).

وليُّهم وشيخهم إبليس في صورة شيخ كبير، فتذاكروا أمرَ رسول الله، فأشار كل أحد منهم برأي، والشيخ يردُّه ولا يرضاه، إلى أن قال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريشٍ غلامًا نَهْدًا[1] جلدًا، ثم نُعطيه سيفًا صارمًا، فيضربونه ضربةَ رجل واحد، فيتفرَّق دمُه في القبائل، فلا تدري بنو عبد مناف بعد ذلك كيف تصنع، ولا يمكنها معاداة القبائل كلها، ونسوق إليهم ديته. فقال الشيخ: لله درّ الفتى، هذا — والله — الرأي. فأقرّوه، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠)[2]، ففطن رسول الله ﷺ لمكيدتهم وأمر عليًّا أن يبيت في مضجعه تلك الليلة، متسجِّيا ببردته[3]، واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من شق الباب ويرصدونه، ويريدون بياته، فخرج رسول الله ﷺ عليهم فأخذ حفنة من البطحاء، فجعل ينثره على رؤوسهم، وهم لا يرونه، وهو يتلو: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يس: ٩)، ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه، فخرجا من خَوْخَةٍ[4] في دار أبي بكر ليلا.

ثم لَحِقَ رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فَكَمَنَا فيه ثلاث ليال،

---

(١) أي قويًّا ضخمًا. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/١٣٥).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/٤٨٠ — ٤٨٤)، وزاد المعاد، لابن القيم (٣/٤٦)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٤/٤٤١ — ٤٤٢).

(٣) أي غُطِّي ببُرْدته، والبُرْد نوع من الثياب معروف، والبُرْدة الشَّمْلة المخططة. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/١١٤).

(٤) الخَوْخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين يُنْصَبُ عليها باب. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/٨٦).

وكانا قد استأجرا من بني الدِّيلِ، هَادِيًا ماهرا بالهداية – وهو على دين كفار قريش، فَأَمِنَاهُ، فَدَفَعَا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال[1].

وجُنَّ جنونُ قريش حين علمت أن النبي ﷺ أفلت من قبضتها، وأخذت تبحث عنه في كل مكان، وبعثوا القافة[2] إثره في كل وجه، حتى انتهى بهم أثر الأقدام إلى غار ثور، ولم يبق بينهم وبين العثور على منشودهم إلا أن ينظر أحدهم إلى تحت قدميه، ولكنّ الله أعمى أبصارهم، وحال بينهم وبين ذلك، ولما رأى أبو بكر رضي الله عنه أقدام المشركين فوق رأسه خاف على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لو أنّ أحدهم نظر إلى قدميه أَبْصَرَنَا تحت قدميه، فقال: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)[3].

ومرت الليال وجاء الهادي براحلتيهما، وانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل[4].

ثانياً: آيات وبراهين في طريق الهجرة:

شهدت طريق الهجرة آيات وبراهين كثيرة أيد الله بها نبيه ﷺ ومن ذلك: ما كان من أمر سراقة بن مالك، فقد سار في إثر النبي ﷺ، فعثر به الفرس، فسقط

---

(١) خبر استئجار النبي ﷺ هاديا، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب: إذا استأجر أجيرا ليعمل له بعد ثلاثة أيام، رقم الحديث (٢٢٦٤).

(٢) أي بعثوا من يتبعه ويبحث عنه، جاء في لسان العرب، مادة (قفا): «وقفيت على أثره بفلان أي أتبعته إياه».

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، رقم الحديث (٣٦٥٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق، رقم الحديث (٢٣٨١).

(٤) خبر المواعدة مع الدليل، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب: إذا استأجر أجيرا ليعمل له بعد ثلاثة أيام، رقم الحديث (٢٢٦٤)..

عنه، فأبى إلا أن يتبعه، فعثر به الفرس مرة ثانية، وفي المرة الثالثة ساخت قوائمها[1] في الرمال، فانتزعها من الأرض، فتصاعد منها دخان كالإعصار، فحينئذ أدرك سراقة أنّ رسول الله ﷺ محفوظ من الله، وأنه ظاهر لا محالة. فطلب سراقة من النبي ﷺ أن يكتب له كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ثم مضى رسول الله ﷺ[2].

ومن الآيات والبراهين ما كان في خيمة أم معبد الخزاعية حيث مرّ رسول الله ﷺ بها في طريقه إلى المدينة فسألوها لحما وتمرا؛ ليشتروا منها، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك، وكان القوم فقراء لا زاد لهم فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في جانب الخيمة، فقال: (ما هذه الشاة يا أم معبد؟) قالت: شاة خَلَّفَهَا الْجَهْدُ عن الغنم، قال: (هل بها من لبن؟) قالت: هي أَجْهَدُ من ذلك، قال: (أتأذنين لي أن أَحْلُبَهَا؟) قالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيتَ بها حَلَبًا فَاحْلُبْهَا، فدعا بها رسول الله ﷺ، فمسح بيده ضرعها، وسمى الله تعالى، ودعا لها في شاتها، وحلب في إناء حتى روي الجميع[3].

---

(١) أي: غاصت في الأرض. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/٤١٦).

(٢) خبر سراقة متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة، رقم الحديث (٣٦١٥)، (٥/٦٠)، (٣٩٠٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب: جواز شرب اللبن، رقم الحديث (٢٠٠٩).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين، باب: كتاب الهجرة وقد صح أكثر أخبارها عند الشيخين، رقم الحديث (٤٢٧٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير عن قصة أم معبد: «وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا». البداية والنهاية ٣/١٩٠، وحسنها الألباني في تعليقه على فقه السيرة، ص (١٦٨).

ثالثاً: استقبال الأنصار لرسول الله ﷺ:

لما سمع المسلمون بالمدينة بِمَخْرَج رسول الله ﷺ من مكة، كانوا يَغْدُونَ كل غداة إلى الحَرَّةِ، فينتظرونه حتى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَة، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أَوَوْا إلى بيوتهم، أَوْفَى[1] رجل من يهود على أُطُمٍ[2] مِنْ آطَامِهِمْ، لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مُبَيَّضِينَ[3] يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جَدُّكُم[4] الذي تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بِظَهْرِ الحَرَّةِ، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول[5].

وفرح الأنصار بمقدم النبي ﷺ وصاحبه فرحًا لا نظير له، يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: «ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فَرَحَهُمْ به»[6]، وازدحم الناس عليهما حتى امتلأت الطرقات، وكان في استقبالهما «زهاء خمسمائة من الأنصار»[7].

وأقام رسول الله ﷺ بقباء أياماً، قيل: أربعة عشر يوماً، وكان أول عمل أنجزه

---

(١) أَوْفَى: أَشْرَفَ، أي: اطَّلَعَ من علوّ. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١٢/١٣).

(٢) أُطُم: بضم أوله وثانيه هو الحصن. انظر: المرجع السابق (٢٤٣/٧).

(٣) مُبَيَّضِين: أي: عليهم الثياب البيض. انظر: المرجع السابق، (٢٤٣/٧).

(٤) جَدّكم: حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعون مجيئه. انظر: المرجع السابق (٢٤٣/٧).

(٥) خبر ذلك، رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث، (٣٩٠٦).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، رقم الحديث (٣٧١٠).

(٧) خبر ذلك، رواه أحمد في مسنده (٤١/٢١)، (١٣٣١٨). وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

أثناء إقامته هو تأسيس مسجد قباء، وهو أول مسجد أُسِّس بعد النبوة، ثم ركب بأمر الله تعالى فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاَّها في المسجد الذي في بطن الوادي، ورغب إليه أهل تلك الدار أن ينزل عليهم، فأخذوا خِطام راحلته، وقالوا: هَلُمَّ إلى العدد والعُدّة والمَنَعَة، فقال: (دَعُوهَا فإنها مَأْمُورَةٌ)، فلما جاءت موضع مسجده اليوم بَرَكَتْ، ولم ينزل عنها ﷺ حتى نهضت، وسارت قليلاً، ثم رجعت، فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها ﷺ، فحمل أبو أيوب رضي الله عنه رَحْل رسول الله ﷺ إلى منزله. وأراده قوم في النزول عليهم، فقال: (المرء مع رحله)، فأقام ﷺ عند أبي أيوب حتّى بنى مسجده ومساكنه[1].

***

الدروس المستفادة

- أنَّ الإسراء والمعراج وما حصل فيها من الآيات العظيمة، وقد كان يقظة لا منامًا وقد أسري، بروحه وجسده — عليه الصلاة والسلام —.

- أهمية الصلاة وشرفها؛ فقد أمر الله بها من فوق السماء السابعة، في أعلى مكان وصله بشر، وفرضها دون واسطة بينه وبين نبيه.

- المسلم ينتهز كل فرصة، ويستغل كل مناسبة يجتمعُ فيها الناس لدعوتهم إلى الله تعالى؛ فقد كان ﷺ يذهب إلى الناس في المواسم.

- المؤمن يتوكل على ربه، ويثق بنصره وتأييده، مستلهما ذلك من ثقة رسول الله

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/٤٩٤ — ٤٩٦)، وزاد المعاد، لابن القيم (٣/٥٢ — ٥٣)، والفصول في السيرة، لابن كثير، ص (١١٨). وانظر أصل القصة في: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث (٣٩٠٦).

بنصر الله، وقد وقف المشركون عند الغار قريبًا منه ﷺ ومن أبي بكر رضي الله عنه في الغار.

- الأخذ بالأسباب المشروعة لا ينافي التوكل على الله، فالرسول ﷺ استعان بدليل يدله على الطريق في سفر هجرته، واختار غار ثور للاختباء فيه ثلاثاً.

- في إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ﷺ مع معاداتهم له، واتهامهم له بالسِّحر والكذب، دليل على تناقضهم، وأنهم في قرارة نفوسهم يصدقونه.

- شأن الأمانة عظيم في الإسلام، أَمَر الله بحفظها وأدائها، صغيرة كانت أو كبيرة، وقد كان ﷺ أحرص الناس على أدائها إلى أهلها، ولو كانوا كفارا.

- في الهجرة منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، إذ اختاره رسول الله ﷺ ليكون رفيقه فيها، وصاحبه في الغار.

- شدة محبة الأنصار العظيمة للنبي ﷺ وتضحيتهم، وقد بوّب العلماء في كتبهم أبوابًا في مناقب الأنصار رضي الله عنهم.

- أهمية رسالة الشباب في نصرة الدين وبناء الأمة، ويتجلّى ذلك في نوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة، حيث فدى النبي ﷺ بحياته.

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر:

١ – السيرة النبوية لابن هشام.

٢ – السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي.

٣ – زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم

***

الوحدة السادسة

المجتمع الإسلامي في المدينة (العهد المدني)

أخي الطالب / أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادرا على :

١ – الوقوف على أبرز الأعمال التي قام بها النبيُّ ﷺ في بدايات تكوين الدولة الإسلامية.

٢ – معرفة أهم التشريعات والأحداث التي أثرت في تكوين وتميز المجتمع المسلم في المدينة.

٣ – الإلمام بتطورات ومراحل بناء الدولة الإسلامية التي أسسها النبيُّ ﷺ.

بناء المجتمع المسلم

أولاً: بناء المسجد النبوي:

كانت الخُطوة الأولى في المدينة بعد وصول الرسول ﷺ إليها هو بناء المسجد النبوي، وذلك في المكان الذي بركت فيه الناقة، وكان في الأصل حائطا – بستانا – لغلامين يتيمين من بَني النَّجَّار، «فدعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما، فقالا: لا، بل نَهَبُهُ لك يا رسول الله، فأبى رسول الله أن يَقْبَله منهما هبةً حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدا، وَطَفِقَ رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِنَ في بنيانه، ويقول:

هَـذَا الْحِمَـالُ لَـا حِمَـال خَيْبَـرْ[1] ❖ هَـــذَا أَبَـــرُّ رَبَّنَـــا وَأَطْهَـــرْ

وَيَقُولُ:

اللَّهُـمَّ إِنَّ الأَجْـرَ أَجْـرُ الآخِـرَةِ ❖ فَـارْحَمِ الأَنْـصَارَ وَالْمُهَـاجِرَهْ»[2]

وكان المسجد في هذا العهد يعد مركزا للمجتمع المسلم، حيث كان مؤسسة لقيادة الدولة، ومسجدا للعبادة، ومعهدا للتعليم، ومحكمة للقضاء، وملاذاً لجميع أطياف المجتمع، فكان بحق أول خُطوة في بناء الدولة الإسلامية.

ثانياً: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

أرسى الرسول ﷺ قواعد المجتمع المدني على أساس رابطة العقيدة والإيمان، فتوحَّدت صفوفهم، واجتمعت كلمتهم، فشرَّع نظام المؤاخاة، وجعل له من الحقوق والواجبات ما لِأُخُوَّة النسب؛ فآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار

---

(١) الحِمال بالكسر من الحمل، والذي يُحمل من خيبر التمر: أي أن هذا في الآخرة أفضل من ذلك وأحمد عاقبة. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٣٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي وأصحابه، رقم الحديث (٣٩٠٦).

أنس بن مالك ﷺ، وكانوا تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت، دون ذوي الأرحام[1]، فأظهر الأنصار من الكرم والتعاون ما خفَّف عن المهاجرين آلام الغربة، فأسكنوهم منازلهم، وبذلوا لهم أموالهم، حتى عرضوا على رسول الله ﷺ أن يتقاسموا الثروة بينهم وبين إخوانهم، فأبى المهاجرون إلا المشاركة في العمل[2]، وكان الواحد منهم يتسابق إلى بذل ما عنده، حتّى يؤول الأمر إلى الاقتراع، تقول أمّ العلاء الأنصارية ﷺ: «لما قدم المهاجرون المدينة اقْتَرَعَتِ الأنصار على سَكَنِهم، فَطَارَ لنا عثمان بن مظعون في السُّكنى»[3]. وقد مدحهم الله بذلك، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر: ٩). وقد استمر التوارث بنظام المؤاخاة إلى ما بعد غزوة بدر الكبرى، ثم أُبطِل التوارث بالتآخي، وصار على أساس النسب والرَّحم[4].

***

(١) زاد المعاد، لابن القيم (٥٦/٣).

(٢) خبر ذلك، رواه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب: إذا قال: «اكفني مؤونة النخل...»، رقم الحديث (٢٣٢٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث (٣٩٢٩). ورواه أحمد في مسنده (٤٥١/٤٥)، (٢٧٤٥٨)، واللفظ له.

(٤) قاله ابن عباس ﷺ، وقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب الكفالة، باب: قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾، رقم الحديث (٢٢٩٢).

تشريعات وأحداث مهمة في الدولة الإسلامية الجديدة

ظل ﷺ في مكة – قبل الهجرة – يرسّخ العقيدة الصحيحة، فلما رسخت في قلوب الصحابة وأعمالهم، هاجر بهم ﷺ إلى المدينة فصار كل أمر يأتي من عند الله محل القبول والتسليم والتنفيذ المباشر منهم ﷺ، نظرًا لرسوخ الاعتقاد في قلوبهم، وليس أدل على ذلك من تأخر تحريم الخمر حتى رسخ الاعتقاد الصحيح في قلوبهم، فلما رسخ ونزل تحريمه فتحوا أبوابهم وأراقوها، قالت عائشة ﷺ: (إنما نزل أول ما نزل منه – أي القرآن – سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء «لا تشربوا الخمر» لقالوا لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل «لا تزنوا» لقالوا لا ندع الزنا أبدًا)[1].

وما ذاك إلا لأن الاعتقاد لم يترسخ، فلما ترسَّخ ونزل التحريم انتهوا فورًا ﷺ أجمعين، قال ابن حجر: «أشارت – يعني عائشة ﷺ – إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأنَّ أوَّل ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أُنزلت الأحكام»[2].

ومن أبرز تلك التشريعات في العهد المدني:

أولاً: تشريع الأذان:

فُرضت الصلوات الخمس في ليلة الإسراء والمعراج، ولم يكن للمسلمين بمكة مسجد يجتمعون للصلاة فيه، فلما هاجروا إلى المدينة، وبنوا المسجد، كانوا يجتمعون

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن (أي جمعه)، رقم الحديث (٤٧٠٧).

(٢) فتح الباري (٩/ ٤٠).

للصلاة في مواقيتها من غير نداء لها، فشعروا بالحاجة إلى أداة تجمعهم في وقت واحد؛ لإقامة الصلوات المكتوبة، وكَرِه رسول الله ﷺ طُرق الإعلان التي اعتادها اليهود والنصارى من بوق وناقوس ونار، فأكرم الله المسلمين بالأذان، روى عبد الله بن زيد الأنصاري رضي الله عنه: أنه رأى الأذان في المنام، فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما رأى، فقال ﷺ: (إنها لرؤيا حق، إن شاء الله، فقم مع بلال، فَأَلْقِ عَليه ما رأيتَ فليؤذّن به؛ فإنه أنْدَى صوتا منك) فقمت مع بلال، فجعلتُ أُلْقِيه عليه ويؤذّن به[1].

ثانياً: تحويل القبلة:

كان رسول الله ﷺ يُصلّي بمكة إلى بيت المقدس، والكعبةُ بين يديه، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما، فصلّى إلى بيت المقدس أول مَقْدَمِهِ المدينة، واستدبر الكعبة ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا. وكان ﷺ يحب أن تُصرف قبلته نحو الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام، وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله عز وجل فكان يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلا ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ ﴾ (البقرة: ١٤٤). فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين، وأعلمهم بذلك[2].

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب: كيف الآذان، رقم الحديث (٤٩٩)، والحديث حسنه الألباني في إرواء الغليل (١/٢٦٥).

(٢) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٥/٤٧ – ٤٨)، وخبر تحويل القبلة متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة، رقم الحديث (٣٩٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم الحديث (٥٢٥).

وكان التحويل في منتصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح[1].

ثالثاً: فرض صيام رمضان:

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، ويصوم عاشوراء، ويأمر بصيامه، وفي شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة فرض الله تعالى الصيام وجعله ركناً من أركان الإسلام، فأنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣)، فصام رسول الله ﷺ تسع رمضانات[2].

وفُرض أولاً على وجه التخيير بينه وبين الإطعام، ثم أصبح لازماً على المستطيع، وشُرِعَ الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام[3].

رابعاً: فرض الزكاة:

في السنة الثانية للهجرة شرع الله ﷻ زكاة الفطر، ثم فرض الزكاة المقدَّرة بالنُّصُبِ والمقادير الخاصة في أموال الأغنياء، وجعلها رُكناً من أركان الإسلام، وكان ذلك بعد فرض الصيام، قال الحافظ ابن كثير: «وفيها – أي السنة الثانية – فُرضت الزكاة ذات النُّصُبِ، وفُرضت زكاة الفطر»[4]، أما أصل الزكاة فكانت واجبة بمكة

---

(١) وبه جزم الجمهور، ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١/٩٧).

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٠/٢٥٤)، وزاد المعاد، لابن القيم (٢/٢٩).

(٣) خبر ذلك: رواه أحمد في مسنده، (٣٦/٤٣٨)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٣٠).

(٤) البداية والنهاية، لابن كثير (٥/٣١٢).

على الأرجح، من غير تقييد بنصاب أو حول[1].

خامساً: الإذن بالجهاد ومراحل تشريعه:

مكث رسول الله ﷺ بمكة يدعو إلى الله تعالى، ويلقى من عنت قريش وعداوتهم وأذاهم له ولأصحابه الشيء الكثير، وهم صابرون محتسبون، وممنوعون من القتال، فلما هاجروا إلى المدينة؛ فرارًا بدينهم، صادر كفار قريش أموال وعقارات المسلمين بمكة، وبادروا بإعلان الحرب عليهم، وسعوا مع اليهود والمنافقين بشتى الطرائق لإثارة الفتن في داخل المدينة، وتأليب الأعداء عليهم، واستعانوا بعميلهم عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، فعاش المسلمون في المدينة يحدق بهم الخطر من كل جانب، فحينئذ أذن الله تعالى للمسلمين بالجهاد؛ دفاعا عن النفس والإيمان؛ قال ابن القيم: «فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة، وأيده الله بنصره بعباده المؤمنين الأنصار، وألَّف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم، فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسْوَد والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدَّموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم — رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشَمَّروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح، حتى قويت الشَّوْكَةُ واشتدَّ الجناح، فأذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرضه عليهم، فقال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج: ٣٩). وهي أول آية نزلت في القتال.

ثم فُرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون مَن لم يقاتلهم، فقال: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟

(١) انظر: مرقاة المفاتيح، للملا علي القاري (٤/١٢٦٠).

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٠).

ثم فُرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان مُحرَّماً، ثم مأذونا به، ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورا به لجميع المشركين، إما فَرْض عين على أحد القولين، أو فَرْض كفاية على المشهور»[1].

المقصود من الجهاد:

الغاية من الجهاد في الإسلام هي تبليغ دين الله، ودعوة الناس إليه، وإخراجهم من الظّلمات إلى النور، وانتشالهم من الشرك وعبادة العباد إلى رفعة الإسلام وعبادة رب العباد. وليس المقصود منه سفك الدماء وأخذ الأموال، وأما القتال فهو وسيلة لدفع الظلم والاعتداء، والتمكين للدعوة الإسلامية، حتى يدخل الناس في دين الله، تعالى، مختارين من غير فتنة[2].

سادساً: إسلام حَبْر اليهود عبد الله بن سلام:

كان عبد الله بن سلام من أحبار اليهود الذين يعرفون صفة النبيّ المنتظر، وينتظرون خروجه، ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة النبوية بادر بالإسلام.

ولقد حدَّث عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه عن إسلامه فقال: لما سمعتُ برسول الله ﷺ، وعرفتُ صفته واسمه وهيئته وزمانه الذي كنا نَتَوَكَّفُ له، (أي: ننتظر) فكنت بقباء مُسِرًّا صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلمَّا قدم نزل بقباء في بني عمرو بن عوف، فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها،

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم (٣/٦٢ – ٦٤).

(٢) انظر في ذلك قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي في دورته الثانية والعشرين. في موقع المجمع على الشبكة العنكبوتية.

وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعتُ الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبَّرت، فقالت عمتي حين سمعت تكبيري: لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت، قال: قلت لها: أي عمَّة، والله هو أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بُعث بما بُعث به. **فقالت: يا ابن أخي، أهو الذي كنَّا نُخبر أنّه يبعث مع الساعة؟ قلت: نعم، قالت: فذاك إذاً**[1].

وفي رواية أخرى قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انْجَفَلَ[2] الناسُ إليه، وقيل: قَدِم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما اسْتَبَنْتُ وجه رسول الله ﷺ عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذَّاب، وكان أوَّل شيء تكلم به أن قال: (يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)[3].

وحدَّث أنس رضي الله عنه عن إسلام عبد الله فقال: «بلغ عبد الله بن سلام مَقْدَمُ رسول الله ﷺ المدينة فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يَعلَمُهنّ إلا نبي قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء يَنْزِعُ الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء يَنْزِعُ إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ (خَبَّرَني بهنّ آنفا جبريل)، فقال عبد الله: ذاك عدوّ اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: (أما أول أشراط

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/٥١٦)، ودلائل النبوة، للبيهقي (٢/٥٣٠). وقصة إسلامه رواها البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث (٣٩١١).

(٢) انْجَفَل الناس: أي ذهبوا مُسرِعين نَحوه. انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (١/٢٧٩).

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في فضل إطعام الطعام، رقم الحديث (٢٤٨٥)، وقال: «هذا حديث صحيح»، والحديث صححه الترمذي في صحيح الجامع الصغير (٢/١٢٩٨).

الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشَّبَهُ في الولد فإن الرجل إذا غَشِيَ المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها) قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهُت[1]، إن عَلِموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهَتُوني – أي: كذبوا عليّ – عندك، فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: (أيّ رجل فيكم عبد الله بن سلام؟) قالوا: أَعْلَمُنَا، وابن أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فقال رسول الله ﷺ: (أفرأيتم إن أسلم عبد الله) قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فقالوا: شَرُّنَا، وابن شَرِّنَا، ووقعوا فيه»[2].

***

الدروس المستفادة

- المسجد أهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي؛ ومن أجل ذلك كان أول ما قام به رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة هو بناء المسجد، حتى يجتمع فيه المسلمون.

- الأُسوة الحسنة والقدوة العملية أبلغ وأكثر تأثيرا من الأقوال النظرية؛ فالنبي ﷺ شارك في بناء المسجد بنفسه مع أصحابه، فكان يحمل الحجارة، وينقل اللَّبِن على صدره وكتفيه، لا فرق في ذلك بين رئيس ومرؤوس.

- الإسلام أوجب الأُخُوَّة بين المسلمين، وجعل ذلك من سمات المؤمنين، فقال

---

(١) بُهُت: جمع بَهوت، وهو كثير البهتان. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٥/٢١١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته، رقم الحديث (٣٣٢٩).

تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠)، وأوجب الولاءَ والنصرة بالدين؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة: ٧١)، فكل من كان مؤمنا، فهو نصير لجميع المؤمنين. ويتجلى ذلك في مؤاخاة الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، إذ قدَّم الأنصار المثل الصادق للأخوة الإسلامية والمحبة في الله ﷻ.

- في تشريع الأذان دليل على أهمية صلاة الجماعة، فالنبي ﷺ كان مهتماً بجمع الناس لأداء هذه الفريضة، ويبحث عن وسيلة تعينهم على ذلك، فلما شُرع الأذان شدّد في أمر الجماعة، ولم يُرخِّص في التخلف لمن سمع النداء؛ كما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل أعمى، فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يَقُودُني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يُرَخِّصَ له، فيصلي في بيته، فَرَخَّصَ له، فلما وَلَّى دعاه، فقال: (هل تسمع النداء بالصلاة؟)، قال: نعم، قال: (فَأَجِبْ)[1].

- أرسى الإسلام قواعد التكافل الاجتماعي، فشرَّع الزكاة مواساة للفقراء والمعوزين، وجعل في أموال الأغنياء حقًّا لليتامى والمساكين، وحثَّ على الصدقة على الضعفاء والمحتاجين، وإغاثة الملهوفين، ومساعدة المنكوبين، والتفريج عن المكروبين. وبذلك تسود الألفة والمودة بين أفراد المجتمع.

- من حكمة الله تعالى التدرج في التشريع شيئاً فشيئاً، والبدء بالأيسر؛ حتى تتهيأ النفوس لتلقي الحكم الأشد، وتنقاد له، كما في تشريع الصّيام وتحريم الخمر.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب: يجب إتيان المساجد على من سمع النداء، رقم الحديث (٦٥٣).

- شرع الله تعالى الجهاد في الوقت المناسب له؛ لأن المسلمين لما كانوا في مكة كان المشركون أكثر عددا، فلو أُمر المسلمون – وهم أقل من العُشر – بقتالهم لشقَّ عليهم، فلمّا بَغَى المشركون، وأخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم، واستقر ﷺ بالمدينة، واجتمع عليه أصحابه، وقاموا بنصره، وصارت المدينة دار إسلام، ومعقلا يلجؤون إليه، شرع الله جهاد المشركين وقتالهم[1].

- غاية الجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله؛ قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٩٣)، والقتال إنما هو لدفع الظلم، والتمكين للدعوة الإسلامية، وإزالة العوائق، حتى يتمكَّن مَن أراد الدخول في الإسلام مِن ذلك، ويتيسر له أداء شعائر الله، دون أية عقبات تضعها قوى الشرك. وليس المقصود منه القتل والنهب والتسلط على أموال الناس وأراضيهم، أو حمل الناس على الدخول في الإسلام كرها.

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر:

١ – السيرة النبوية لابن هشام.

٢ – زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم.

٣ – مختصر سيرة النبي ﷺ، لمحمد بن عبد الوهاب.

***

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/٤٣٤).

الوحدة السابعة

الغزوات الأولى

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة -- أن تكون قادرا على:

١ – الإلمام بأحداث غزوة بدر الكبرى، ونتائجها، والدروس المستفادة منها.

٢ – الإلمام بأحداث غزوة أحد، ونتائجها، والدروس المستفادة منها.

٣ – استشعار أهمية الجهاد في حياة النبيِّ ﷺ.

غزوة بدر الكبرى

الغَزْوَةُ: المرَّةُ من الغزو، والاسم: الغَزَاة[1]. والغزو هو: الطلب والقصد[2]. قال الزرقاني: «وقد جرت عادة المحدثين وأهل السِّيَر واصطلاحاتهم غالبا أن يُسمُّوا كل عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه الكريمة غزوة، وما لم يحضره، بل أرسل بعضا من أصحابه إلى العدو، سريةً وبعثًا»[3].

أولاً: تاريخ الغزوة:

كانت غزوة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، وهي أولُ معركة في الإسلام، أعزّ الله بها الإسلام وأهله، وسمّاها «يوم الفرقان» فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ (الأنفال: ٤١)؛ وذلك لأنها فرَّقت بين أهل الحق والباطل. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعني بالفرقان يوم بدر، فرَّق الله فيه بين الحق والباطل»[4].

ثانياً: سبب الغزوة والاستعداد لها:

سبب غزوة بدر أن قافلة تجارية لقريش كانت قادمة من الشام بقيادة أبي سفيان، فأراد رسول الله ﷺ أن يعترض طريق هذه القافلة؛ لكي يسترد بعض ما

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/٣٦٦).

(٢) انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص (١٣١٧)، مادة «غزو».

(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/٢٢٠).

(٤) تفسير الطبري (١١/٢٠٠).

غصبته قريش من أموال المسلمين الذين أخرجتهم من ديارهم، ويوقف عدوان قريش التي كانت لا تألو جهداً في محاربة الإسلام، واضطهاد الداخلين فيه، وكانت تستخدم هذه الأموال وكلّ ما تملكه من حَوْل وطَوْل في ذلك، فلم يكن خروجه ﷺ للقتال، وإنما كان قصده هو القافلة.

ولما عزم رسول الله ﷺ على الخروج ندب أصحابه لذلك، فخرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، ولم يكن معه من الخيل سوى فرس الزبير رضي الله عنه، وفرس المقداد رضي الله عنه، ومن الإبل سبعون بعيراً.

وكان أبو سفيان يتحسس الأخبار، فلما علم بخروج المسلمين بعث إلى مكة يستنفر قريشًا لِنجدة القافلة، فأجابته قريش بجيش قوامه ألف مقاتل، ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير، وقد تمكن أبو سفيان من الفرار بالقافلة عن طريق الساحل، لكن أبا جهل أبى الرجوع، وقال: والله لا نرجع حتى نَرِدَ ماء بدر، ونقيمَ عليه ثلاثاً، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، فتهابنا العرب أبداً.

ولما بلغ رسول الله ﷺ ما كان من قريش استشار أصحابه من المهاجرين والأنصار في القتال فأجابوه وقال المقداد بن عمرو رضي الله عنه، : «يا رسول الله! امض لما أمرك الله، فنحن معك»، ثم استشار الأنصار فبادر سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: «والله لكأنّك تريدنا، يا رسول الله؟ فوالله، يا رسول الله، لو اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هذا البَحْرَ فخُضتَه لَخُضْنَاهُ معك»[1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ (الأنفال: ٩)، (٣٣٤/٧)، (٣٧٣٦)، بمعناه، ورواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة بدر، رقم الحديث (١٧٧٩).

وبات رسول الله ﷺ ليلة المعركة يصلي، ويدعو حتى أصبح[1]، وكانت ليلة السابع عشر من رمضان، فلما أصبح، وأقبلت قريش في كتائبها، لجأ إلى الله بالدعاء، فقال: (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تُحادُّك وتكذِّب رسولَك، اللهم فنصرَك الذي وَعَدْتني، اللهم أَحِنْهُمْ[2] الغداة)[3]، وما زال يهتف بربه، مادًّا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر رضي الله عنه، فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربّك، فإنه سَيُنْجِزُ لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (الأنفال: ٩) فأمدّه الله بالملائكة.

ثالثاً: بَدْء المعركة وتحقق النصر:

خرج ﷺ من العريش، وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر: ٤٥)»[4].

ولما اشتدت المعركة نزل يحوضها بنفسه، ويباشر القتال، وكان أشجع الشجعان؛ يقول عليٌّ رضي الله عنه: «لقد رأيتُنَا يوم بدرٍ ونحن نَلُوذُ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدوّ،

---

(١) خبر ذلك رواه أحمد في مسنده (٣٦٣/٢) رقم الحديث (١١٦١)، والحديث حسنه ابن حجر في الفتح (٥٨٠/١). وورد مختصرًا في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ (الأنفال: ٩)، (٣٣٤/٧)، (٣٩٥٤)، من رواية ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئتَ لم تُعبد)، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك، فخرج وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر: ٤٥).

(٢) أحنهم – بفتح الهمزة وكسر الحاء المهملة وسكون النون – أي: أهلكهم. انظر: سبل الهدى والرشاد (١٤١/٤).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٦٢١/١)، ودلائل النبوة، للبيهقي (٣٥/٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾، رقم الحديث (٤٨٧٧).

وكان من أشدِّ الناس يومئذ بأساً»[1].

ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين، وأخذ المشركون يتساقطون في أرض المعركة، حتى قُتِل منهم سبعون، وأُسِر سبعون، وفرّ الباقون تاركين الغنائم خلفهم.

وأباح الله للمسلمين الغنائم[2]، ونزل قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٩)، وقد كانت الغنائم لا يحل أخذها لأحد قبل هذه الأُمَّة، وأمر ﷺ بقتلى المشركين، فألقوا في قَلِيب[3]، واستُشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا.

أمّا الأسرى فقد استشار ﷺ أصحابه فيهم: فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يُقتَّلوا، وعلَّل ذلك بقوله: هؤلاء أئمّة الكفر وصناديدها. وأما أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقبل الرسول ﷺ مشورة أبي بكر رضي الله عنه، فنزل القرآن موافقًا لرأي عمر رضي الله عنه، وأجاز تصرف النبي ﷺ في أخذ الفداء، ولكن مع بعض العتاب، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٧ – ٦٨)[4].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٨١/٢)، رقم الحديث (٦٥٤). وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٢) خبر ذلك رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، رقم الحديث (١٧٦٣).

(٣) أي: في بئر حفرت، ولم تُبن بعد، ولم تُطو. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٧/٣).

(٤) خبر ذلك رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، رقم الحديث (١٧٦٣).

غزوة أحد

أولاً: المشهد الأول من المعركة:

لما أصيب صناديد قريش يوم بَدْر، وعظم المصاب عليهم اتفقوا على أخذ الثأر لقتلاهم، وردِّ هيبتهم بين قبائل العرب، فرصدوا لذلك أموال القافلة التي تمكن أبو سفيان من الإفلات بها قبيل معركة بدر. لتجهيز جيش لحرب المسلمين، وخرجت بقيادة أبي سفيان في منتصف شوّال من السنة الثالثة للهجرة في ثلاثة آلاف مقاتل من أبنائها ومن حلفائها من القبائل، ومعهم مائتا فرس، وسبعمائة دارع[1]، وجاؤوا بنسائهم؛ لئلا يفروا.

وخرج النبي ﷺ لملاقاتهم في ألف مقاتل، ومعه فرسان، ومائة دارع. ولبس ﷺ درعين؛ تعليما للأمّة على مشروعية الأخذ بالأسباب، ومضى رسول الله ﷺ حتّى نزل الشِّعْب من أُحُد، وجعل ظهره وعسكره إلى جبل أحد، وقال: لا يقاتلنّ أحد منكم حتّى نأمره بالقتال، ووضع قوةً من الرماة على جبل عَيْنَيْن الذي عُرف فيما بعد بجبل الرُّماة، وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه، وهم خمسون رجلا، وقال: ادفع الخيل عنّا بالنّبل، لا يأتونا من خلفنا[2]، وأمرهم بأن يلزموا مركزهم.

وبدأت المعركة واستبسل المسلمون في قتال المشركين، فأنزل الله تعالى عليهم

---

(١) أي لابسين الدروع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/١١٣)، ولسان العرب، مادة (درع).

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، رقم الحديث (٣٨١٥)، و(٣٨١٧)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، حديث رقم (١٧٨٩)، و(١٧٩٠)، وسيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٢/٦٥ – ٦٦).

نصره، وصَدَقَهم وعده، فاستطاع سبعمائة مقاتل أن يحققوا نصرا ساحقا على ثلاثة آلاف من المشركين، وأن يلحقوا بالمشركين هزيمة نكراء، ففروا من الميدان، وولّت النساء مشمّرات هوارب.

ثانياً: المشهد الثاني من المعركة:

لما رأى الرُمَاة هزيمة المشركين، والأموال التي خلّفوها نزلوا من الجبل يجمعون الغنائم، وخالفوا وصيَّة رسول الله ﷺ؛ ظنّا منهم أن المشركين لن يرجعوا أبدا، فلمّا رأى خالد بن الوليد أن الجبل قد خلا من الرُّماة إلا القليل، كرَّ بالخيل، وتبعه عكرمة بن أبي جهل وآخرون، فحملوا على من بقي من الرّماة فقتلوهم، وثبت أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه، فقاتل حتى قتل، ثم وثبوا على المسلمين من خلفهم، فهزموهم، وقتلوا فيهم قتلا ذريعا، واضطرب أمر المسلمين[1]. وصاح الشيطان عند ذلك: قُتِل محمد، فلم يشك أحد أنه حق[2]. فلما شاع الخبر بين المسلمين، خارت قواهم، ولانت عزيمتهم، وتفرَّق المسلمون في كل وجه، فرجع بعضهم إلى المدينة، وانطلقت طائفة فوق الجبل إلى الصخرة، وقعد بعضهم عن القتال، فمرّ بهم أنس بن النضر رضي الله عنه فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتِل رسول الله ﷺ، فقال: ما تصنعون في الحياة بعده؟ قوموا، فموتوا على ما مات عليه[3]. وأنزل الله تعالى، في ذلك قرآنا يُتْلَى إلى يوم القيامة، يحذر من عاقبة

---

(١) خبر ذلك رواه أحمد في مسنده (٤/٣٦٩) رقم الحديث (٢٦٠٩)، وانظر: إمتاع الأسماع، للمقريزي (١/١٤٥)، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي (٤/١٩٦).

(٢) خبر ذلك رواه أحمد في مسنده (٤/٣٦٩)، (٢٦٠٩)، والمستدرك، للحاكم (٢/٣٢٤)، (٣١٦٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٢/٨٣)، وزاد المعاد، لابن القيم (٣/١٨٧).

المخالفة والمنازعة، ويبين شؤم ارتكاب المعصية؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٢).

وقد ثبت رسول الله ﷺ في مكانه، يدافع ويجالد جموع المشركين وهو ينادي، (إِلَيَّ عِبَادَ الله، إِلَيَّ عباد الله)[١]، فسمع المشركون صوته، فأقبلوا عليه يريدون قتله، فرشقوه بالحجارة، فأصيبت رَباعيته[٢]، وسالت الدماء من وجهه الشريف؛ فجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: (كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيهم، وكسروا رَبَاعِيَتَهُ، وهو يدعوهم إلى الله؟)، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٨)[٣].

ونشبت حلقتان من حِلَق المغفر[٤] في وجهه ﷺ، فنزع أبو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثنيّته، ثم نزع الأخرى، فسقطت ثنيته الأخرى، فكان ساقط الثنيتين[٥]. ومع كل ذلك لم يدع عليهم ﷺ، بل طمع في إسلامهم، ودعا لهم، فقال: (اللهم اغفر لِقَوْمِي؛ فإنّهم لا يعلمون)[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/١٤٨).

(٢) الرباعية: إحدى الأسنان الأربع التي تلي الثنايا بين الثنية والناب. لسان العرب، مادة (ربع).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، رقم الحديث (١٧٩١).

(٤) المِغْفَر: ما يلبسه الدارع على رأسه. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/٣٧٣).

(٥) انظر: الفصول في السيرة، لابن كثير ص (١٤٨).

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الأدعية، ذكر ما يجب على المرء الدعاء على أعدائه بما فيه ترك حظ=

ثالثاً: حبُّ الصحابة ﷺ وفداؤهم للرسول ﷺ:

بقي الرسول ﷺ في تسعة أو اثني عشر من أصحابه، يقول أنس بن مالك ﷺ: «أُفْرِدَ رسول الله ﷺ يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رَهِقُوهُ[1]، قال: (من يردُّهم عَنَّا، وهو رفيقي في الجنة)، فتقدَّم رجلٌ من الأنصار، فقاتل حتى قُتِلَ، ثم رَهِقُوهُ أيضا، فقال: (من يردُّهم عَنَّا، وهو رفيقي في الجنة)، فتقدَّم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قُتِلَ، فلم يزل كذلك حتى قُتِلَ السبعة»[2]. وبقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (مَن للقوم؟) فقال طلحة ﷺ: أنا، فقاتل طلحة قتال الْأَحَدَ عَشَرَ، حتى ضُرِبَتْ يدُه، فَقُطِعَتْ أصابعه، فقال: حَسٍّ[3]، فقال رسول الله ﷺ: (لو قلتَ بسم الله لَرَفَعَتْكَ الملائكة والناس ينظرون)[4]. وجعل طلحة ﷺ نفسه وقاية لرسول الله ﷺ حتى جُرح في بضع وسبعين موضعا[5]؛ وشُلّت يده، يقول قيس بن أبي حازم ﷺ: «رأيتُ يَدَ طلحة التي وَقَى بها النبي ﷺ قد شَلَّتْ[6]»[7].

=نفسه، رقم الحديث (٩٧٣)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٢/٢٩٨).

(١) رَهِقُوهُ: بكسر الهاء، أي: غَشوهُ وَقَرُبُوا منه. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (١٢/١٤٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، رقم الحديث (١٧٨٩).

(٣) حَس: بفتح الحاء، كلمة تُقال عند التوجع. انظر: حاشية السندي على النسائي (٦/٣٠).

(٤) رواه النسائي في سننه، كتاب الجهاد، ما يقول من يطعنه العدو، رقم الحديث، (٢١٤٩)، والحديث حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/٢٠٤).

(٥) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٣/٢٦٤)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٥/٣٩٧).

(٦) شَلَّت: يبست وبطل عملها. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١/١٤٠).

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: ذكر طلحة بن عبيد الله، رقم الحديث (٣٧٢٤).

وكان ممن أبلَى بلاءً حسناً في ذلك اليوم أبو طلحة الأنصاري ﷺ، حيث كان يرد السهام عن رسول الله ﷺ ويتلقفها في صدره ونحره وظهره، فإذا أشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، قال أبو طلحة ﷺ: بأبي أنتَ وأمي، لا تُشْرِفْ، يصيبك سهم من سهام القوم، نَحْرِي دون نَحْرِكَ[1].

رابعاً: الاستبسال في صدِّ المشركين:

استمر خالد بن الوليد ومن معه من المشركين في الهجوم، فقاومهم المسلمون بقوة، وصدُّوهم، فلما رأى المشركون استماتة المسلمين في القتال يئسوا من إنهاء المعركة بنصر حاسم، وخافوا أن تكون الجولة الثالثة للمسلمين كما كانت لهم الأولى، وينقلب الأمر، فكَفُّوا عن القتال، وانصرفوا، ولم يأخذوا أسيراً ولا غنيمة.

والحقُّ أن فشل المشركين في القضاء على المسلمين بعد أن أحاطوا بهم من كل جانب، مع كثرة عَددهم وعُدَدهم، يدل على ضعفهم وهزيمتهم. ونجاحُ المسلمين في الخروج من تطويق المشركين يُعدّ نصرا لهم.

واستشهد يومئذ من المسلمين سبعون صحابيًا[2]، وقامت هند بنت عتبة[3] وكانت من المشركين، والنسوة اللاتي معها يُمَثِّلْنَ بالقتلى، يَجْدَعْنَ الآذان والأنوف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خلاخل، وقلائد، وقد أعطت قلائدها الحقيقية

---

(١) خبر ذلك متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾، رقم الحديث (٤٠٦٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة النساء مع الرجال، رقم الحديث (١٨١١).

(٢) خبر ذلك رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، رقم الحديث (٣٠٣٩)، وانظر: الفصول في السيرة، لابن كثير، ص (١٥٠).

(٣) أسلمت فيما بعد ﷺ وسيأتي ذلك.

وأقراطها وحشيٌّ بن حرب؛ جزاء له على قتله حمزة رضي الله عنه[1].

وأمر النبيُّ ﷺ بدفن الشهداء بدمائهم، يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: (أَيُّهُمْ أكثر أَخْذًا للقرآن)، فإذا أُشِيرَ له إلى أحدهما قَدَّمَهُ في اللَّحد، وقال: (أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة)، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يُغسلوا، ولم يُصلَّ عليهم»[2].

***

الدروس المستفادة

- النصر على الأعداء لا يكون إلا من عند الله، وليس بكثرة العَدد والعُدد، قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (آل عِمْرَانَ: ١٢٦)، فالعبد يأخذ بالأسباب، ولا يتكل عليها.

- أهمية التضرع واللجوء إلى الله تعالى، والإقبال عليه، والإكثار من دعائه، وخاصّة في الشدائد.

- في استشارة الرسول ﷺ لأصحابه في معاملة الأسرى دليل على أهمية الشورى في الإسلام، وأثرها في استلهام الرأي السديد.

- ما نزل بلاء إلا بذنب؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى: ٣٠)، وما حصل للمسلمين في غزوة أُحد بسبب ترك الرُّماة لأماكنهم، ومخالفتهم لأمر الرسول ﷺ أكبر شاهد على ذلك.

---

(١) سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٢/٩١)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٥/٤١٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: الصلاة على الشهيد، رقم الحديث (١٣٤٣).

- شؤم المعصية لا يقتصر على من قارفها، بل قد يتعدَّى إلى مَن حوله، فيُصيب الصالح والطالح جميعًا في الدنيا.

- علو مكانة وقدر الصحابة ﷺ ومحبتهم للنبي ﷺ محبةً عظيمة حتى فدوه - عليه الصلاة والسلام - بأنفسهم، فمنهم من مات بين يديه ومنهم من أصيب بإصابات بالغة دفاعًا عنه ﷺ.

- أهمية التثبت في نقل الأخبار، والحذر من الإشاعات التي تهدّ كيان الأُمّة، وتفرّق الكلمة، وتزعزع الأمن والاستقرار، وتكون سببا في تثبيط الهمم.

- أهمية طاعة ولي أمر المسلمين بالمعروف، والتحذير من مخالفته؛ إذ كانت مخالفة ولي الأمر في غزوة أُحد سببا لتحول النصر إلى الهزيمة.

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر:

١ - السيرة النبوية لابن هشام.

٢ - مختصر السيرة النبوية، لمحمد بن عبد الوهاب.

٣ - السيرة النبوية من مصادرها الأصلية، د. مهدي رزق الله.

***

الوحدة الثامنة

غزوات: بني النَّضير، والخندق، وبني قريظة

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادرا على:

١ – معرفة أسباب غزوة بني النَّضير، والخندق، وبني قريظة، ونتائج كل منها.

٢ – الوقوف على بعض دلائل النبوة من غزواته ﷺ.

٣ – استحضار تأييد الله للمؤمنين، وعظيم نصره بعد تفاقم الشدائد.

غزوة بني النَّضِير

أولاً: مَنْ هم بنو النَّضِيْر؟

النَّضِيْر: بفتح النون، وكسر الضاد، ثم ياء ساكنة، اسم قبيلة من اليهود الذين كانوا بالمدينة وكانوا هم وقُريظة نزولا بظاهر المدينة في حدائق وحصون لهم، ومنازلهم التي غزاهم النبي ﷺ فيها تُسمّى وادي بطحان[1]، وموضع آخر يقال له البويرة[2].

ثانياً: سبب الغزوة:

كان سبب الغزوة أن رسول الله ﷺ خرج إلى بني النَّضير؛ ليستعين بهم في دية الرجلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحِلْف، فوعدوا بخير، ولكنّهم أضمروا الغدْر والاغتيال، وقالوا: يا أبا القاسم، اجلس حتى تُطْعَم، وترجع بحاجتك، فقعد رسول الله ﷺ مع نفر من أصحابه إلى جدار من جُدرهم، فناجى بعضهم بعضا: مَنْ رجلٌ يصعد على ظهر البيت فيلقي على محمد ﷺ صخرة فيقتله فيريحنا منه؟ فإنّا لن نجده أقرب منه الآن. فأوحى الله ﷻ إلى رسول الله ﷺ بما ائتمروا به، فنهض ﷺ من بين أصحابه، ورجع إلى المدينة. فلما استبطأه أصحابه لحقوه.

ثالثاً: موقف الرسول ﷺ من غدر بني النَّضِير:

لما استبان لرسول لله ﷺ ما كان من غَدْر اليهود أرسل إليهم محمد بن مَسْلَمة أن

---

(١) بُطْحَان: وهو أحد أودية المدينة الثلاثة، وهي العقيق وبطحان وقناة. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي: (٤٤٦/١).

(٢) البُويرة: تصغير البئر التي يستقى منها الماء، وفي هذا الموضع من ديار بني النضير. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٥١٢/١)، و(٢٩٠/٥).

اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغَدْر، ثم أمهلهم ﷺ عشرة أيام للخروج، وتجهَّز بنو النضير للخروج في هذا الإنذار، ولكن عبد الله ابن أُبيٍّ – رأس المنافقين – أرسل إليهم ينهاهم عن الخروج، ويعِدُهم بإرسال ألفين من جماعته يدافعون عنهم، فعدلوا عن النزوح، وتحصَّنوا في حصونهم، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: إنَّا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك، فخرج إليهم ﷺ في أصحابه يحمل لواءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1] وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة[2]، فلما رأى اليهود رسول الله ﷺ وأصحابه أخذوا يرمونهم بالنبل والحجارة، ولم يصل إليهم المدد الذي وعدهم به رأس المنافقين، فتحصنوا منهم في الحصون، فحاصرهم المسلمون ستّ ليال، وكانت نخيلهم وبساتينهم عونا لهم في ذلك، فأمر رسول الله ﷺ بقطعها وتحريقها، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم، ويكفَّ عن دمائهم على أنَّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، فقبل منهم ذلك، فلما أرادوا الخروج أخذوا كل شيء يستطيعونه، وهدموا بيوتهم بأيديهم؛ ليحملوا منها ما أمكن من العتبة ونحوها؛ ولكيلا يستفيد منها المسلمون، ونزل أشرافهم في خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، ولم يُسْلم منهم إلا اثنان[3].

رابعاً: ما نزل في غزوة بني النضير من القرآن:

وفي هذه الغزوة أنزل الله سبحانه وتعالى سورة الحشر، ومنها قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/٥٧ – ٥٨).

(٢) هذا الذي عليه عامة أهل المغازي والسير؛ ورجحه ابن كثير في البداية والنهاية (٥/٣٣٥)، وقال ابن القيم في زاد المعاد (٣/٢٢٣): «هذا هو الصحيح عند أهل المغازي والسير».

(٣) انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر ص (١٦٤ – ١٦٥)

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٢ – ٤). وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يسمي سورة الحشر: سورة بني النَّضير[1].

* * *

غزوة الخندق

أولاً: موقف كفار قريش وغيرهم من المسلمين قبل غزوة الخندق:

كانت قريش تود لو أُتيحت لها الفرصة للقضاء على النبي ﷺ، ولا سيما بعد ما أصابها من نكسة بسبب نكوصها عن الخروج في بدر الآخرة[2]، وكان الأعراب الذين نال منهم النبي وصحابته موتورين ويتحينون الفرصة للانتقام. وكان اليهود من بني قَيْنُقاع وبني النضير الذين أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة مغيظين محنقين، ويسعون

---

(١) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٤/٢٥٣)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/٥٦).

(٢) وتسمى بدر الثانية وبدر الموعد، قال ابن القيم في زاد المعاد (٣/٢٢٣): «... وقد تقدم أن أبا سفيان قال عند انصرافه من أُحد: موعدكم وإيانا العام المقبل ببدر، فلما كان شعبان وقيل ذو القعدة من العام المقبل خرج رسول الله ﷺ لموعده في ألف وخمسمائة.... فانتهى إلى بدر فأقام بها ثمانية أيام ينتظر المشركين وخرج أبو سفيان بالمشركين من مكة وهم ألفان.... فلما انتهوا إلى مر الظهران – على مرحلة من مكة – قال لهم أبو سفيان: إن العام عام جدب وقد رأيت أن أرجع بكم فانصرفوا راجعين وأخلفوا الموعد، فسميت هذه بدر الموعد وتسمى بدر الثانية».

ما وسعتهم الحيلة في القضاء على هؤلاء الذين أجلوهم عن ديارهم، ونسوا عفو النبي ﷺ عنهم، وكان يمكنه أن يُبيدَهم بدل إجلائهم، فلا تعجب إذا كان كفار قريش ومن معهم قد تعاونوا قصد القضاء على الإسلام والمسلمين[1].

ثانياً: تأليب اليهود على محاربة المسلمين:

أخذ يهود بني النضير يعدّون العُدّة لأخذ الثأر من المسلمين، وأدركوا أنه ليس بإمكانهم، ولا بإمكان قريش وحدها، أن تفعل ذلك، فقرّروا أن يجمعوا الجموع للقضاء على الإسلام والمسلمين في عُقْر دارهم، فخرج وفْدٌ منهم إلى مكة، فيهم سلام بن أبي الحُقيق، وحُيَيّ بن أخطب، فحرضوا قريشًا على حرب المسلمين، ووعدوهم أن يقاتلوا معهم، فأجابتهم قريش، ثم خرجوا إلى غَطفَان، فاستجابوا لهم، ثم طافوا في قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك، فاستجابت لهم كل القبائل المعادية للمسلمين، واجتمع جيش قوامُهُ نحو عشرة آلاف مقاتل[2].

ثالثاً: موقف المسلمين من جموع المتحزبين:

لما سمع ﷺ بخروج المتحزبين ضد المسلمين، استشار أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق من الجهة الشمالية للمدينة؛ إذ هي الجهة الوحيدة المكشوفة أمام الأعداء. فأمر رسول الله ﷺ بحفره، وقسَّمه بين المهاجرين والأنصار، فاجتهدوا في حَفْره، مع شدة البَرْد والجوع، فقد كانوا يلبثون ثلاثة أيام لا يذوقون طعاماً، وكان ﷺ يدعو لهم، ويحمّسهم، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يَحْفِرُونَ في غَدَاةٍ باردة، فلما رأى ما

---

(١) انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد محمد أبو شهبة (٢/٢٧٥).

(٢) انظر: الطبقات، لابن سعد (٢/٦٥ – ٦٦).

بهم من النَّصَبِ والجوع، قال:

(اللَّهُـمَّ إِنَّ العَـيْشَ عَـيْشُ الآخِـرَهْ ❖ فَـاغْفِرْ لِلْأَنْـصَارِ وَالمُـهَاجِرَهْ)[1]

فقالوا مُجيبينَ له:

نَحْـنُ الَّـذِينَ بَـايَعُوا مُحَمَّـدَا ❖ عَلَـى الجِهَـادِ مَـا بَقِينَـا أَبَـدَا»[2]

وكان ﷺ يشاركهم في العمل، ويُكابِد معهم النّصب والجوع.

وقد تمكن المسلمون من حفر الخندق في مُدَّة يسيرة[3]، وبلغ طوله خمسة آلاف ذراع[4].

رابعاً: آيات النبوة أثناء حفر الخندق:

وكان النبي ﷺ يقوم بما يعجز عنه الآخرون، فحطَّم صخرة عظيمة حالت دون إتمام الحَفْر، والحَجَرُ مشدود على بطنه من شدّة الجوع، يقول جابر رضي الله عنه: «إنّا يوم الخندق نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ[5] شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدْيَةٌ عَرَضَتْ في الخندق، فقال: (أنا نازل). ثم قام، وبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بحجَر، ولبثنا ثلاثة

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (٧/٣٩٤): «قال ابن بَطّال هو قول ابن رواحة يعني تمثّل به النبي ﷺ ولم يكن من لفظه لم يكن بذلك النبي ﷺ شاعرًا».

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: الصبر عند القتال، رقم الحديث (٢٨٣٤).

(٣) قيل: في ستة أيام، وقيل: في خمسة عشر يومًا، وقيل: في عشرين ليلة، وقيل: في أربع وعشرين ليلة. انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢/٦٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم الحديث (١٧٨٨)، وفتح الباري، لابن حجر (٧/٣٩٤)، وسبل الهدى والرشاد، للصالحي (٤/٣٦٧).

(٤) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، لأكرم ضياء العمري، ص (٤٢١). أي أقل من (٣) كيلو، نحو (٢٧٢٥) مترا.

(٥) كُدْيَة: قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس. انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٤/١٥٦).

أيام لا نذوق ذَوَاقًا، فأخذ النبي ﷺ المِعْوَلَ فضرب، فعاد كَثِيبًا أَهْيَلَ»[1]، أي صارت الصخرة الصلبة رملاً لينًا سائلاً[2]. وزاد البَراء رضي الله عنه في روايته: فأخذ الْمِعْوَلَ فقال: (بسم الله)، فضرب ضربةً، فَكَسَرَ ثُلُثَ الحجر، وقال: (الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيح الشام، والله إِنِّي لَأُبْصِرُ قصورها الحُمر من مكاني هذا). ثم قال: (بسم الله) وضرب أخرى، فكسر ثلثَ الحجر، فقال: (الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيح فارس، والله إِنِّي لَأُبْصِرُ المدائن، وأُبْصِرُ قصرها الأبيض من مكاني هذا)، ثم قال: (بسم الله) وضرب ضربة أخرى، فقلع بَقِيَّةَ الحجر، فقال: (الله أكبر، أُعْطِيتُ مفاتيح اليمن، والله إِنِّي لَأُبْصِرُ أبواب صنعاء من مكاني هذا)[3].

خامساً: بين الابتلاء والمن بالنصر:

أَمَر النبي ﷺ بوضع النساء والأطفال في أحد الحصون، وخرج في ثلاثة آلاف من المسلمين، فجعل ظهره إلى جبل سَلْعٍ، والخندق أمامه. وأقبلت قريش وغَطَفان ومن تابعهم، حتّى نزلوا أمام المدينة، في عشرة آلاف، وراعهم ما رأوا من أمر الخندق؛ إذ لا عهد للعرب بمثله.

ومضى قريبٌ من شهر دون حرب بين الفريقين سوى الرمي بالنبل والحجارة من وراءِ الخندق، والمشركون يحاولون اقتحامه، ولكن كلما حاولوا أمطرهم المسلمون بوابل من السهام فردوهم.

وكان بين المسلمين وبين بني قُرَيْظة عهدٌ، فحملهم حُيَيّ بن أخطب سيّد بني

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: غزوة الخندق، رقم الحديث (٤١٠١).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٣٩٧/٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٦٢٥/٣٠)، رقم الحديث (١٨٦٩٤)، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٩٧/٧).

النضير على نقض العهد؛ ليضربوا المسلمين من الخلف، حيث كانت مساكنهم جنوب المدينة، فنقضوا العهد، وأخذ المشركون يستعدون لاقتحام المدينة من جهة بني قريظة، والقضاء على المسلمين، فعظُم عند ذلك البلاء على المسلمين، واشتدَّ الخوف، وأصبحوا بين نار من فوقهم ونار من أسفل منهم، وانسحب المنافقون معتذرين بأن بيوتهم مكشوفة للأعداء، فأظهر الله حقيقتهم بقوله: ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (الأحزاب: ١٣).

ولما طال أَمَدُ الحصار، واشتد بالمسلمين الكرب والبلاء، وبلَغت الحال كما وصف الله في القرآن: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ (الأحزاب: ١٠ - ١١) - ابتهل الرسول ﷺ إلى ربّه، ودعاه بقوله: (اللهم مُنْزِلَ الكتاب، سَرِيعَ الحِسَابِ، اللهم اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللهم اهزمهم وزلزلهم)[1].

فاستجاب الله ﷻ دعاء نبيه ﷺ عليهم، وأرسل على أعدائه ريحًا باردة في ليلة مظلمة شاتية، كفأت قُدُورهم، وأطفأت نيرانهم، وقَلَعت خيامهم، وأرسل الملائكة، فزلزلتهم، وألقت في قلوبهم الرعب والخوف، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ ﴾ (الأحزاب: ٩)، فأجمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح، وأرسل رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ يأتيه بخبرهم، فوجدهم في خوف ودُعْر، وقد

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة، رقم الحديث (٢٩٣٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، رقم الحديث (١٧٤٢).

تهيؤوا للرحيل، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره برحيل القوم[1]، فأصبح رسول الله ﷺ، وقد رد الله عدوه بغيظه لم ينالوا خيرا، وكفاه الله قتالهم، ووقعت هذه الغزوة في شوال من السنة الخامسة الهجرية[2]. واستشهد من المسلمين يوم الخندق ستة، وقُتِل من المشركين ثلاثة نفر[3].

***

غزوة بني قريظة

أولاً: سبب الغزوة:

وقعت غزوة بني قُرَيْظة في السنة الخامسة للهجرة عقب غزوة الأحزاب، وذلك أن رسول الله ﷺ بعد أن رأى ما انطوت عليه نفوس يهود بني قُرَيْظة من اللؤم والغدْر والتحزُّب مع قريش وحلفائها، وبعد أن أعلنت له إبَّان اشتداد معركة الأحزاب أنها نقضت عهدها معه، وكانت وهي تُساكن الرسول ﷺ في المدينة تهم بشر عظيم قد يقضي على المسلمين جميعا لولا انتهاء معركة الأحزاب بمثل ما انتهت إليه، رأى رسول الله ﷺ أن يؤدب هؤلاء الخائنين الغادرين، ويطهر منهم المدينة مقر جهاده ودعوته حتى لا تواتيهم الفرصة مرة أخرى، فينقضّوا على جيرانهم المسلمين ويُبيدُوهم كما هي طبيعة الغدر اليهودي اللئيم.

---

(١) خبر قصة حذيفة مفصلة رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة الأحزاب، رقم الحديث (١٧٨٨).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٣٩٣/٧)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٩/٦).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٢٥٢/٢ – ٢٥٣)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٦٩/٦).

وقد صحّ في السنّة أنه لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام وهو يَنْفُضُ رأسه من الغبار، فقال: «قد وَضَعْتَ السلاح؟، والله ما وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إليهم، قال النبي ﷺ: «فَأَيْنَ؟»، فأشار إلى بني قُرَيْظة[1]. وذلك ليطهّر المدينة من قوم تربّوا على الغدْر والخيانة، ولم تعد تنفع معهم العهود والمواثيق، فنهض ﷺ من وقته إليهم، ونادى في الناس: (لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العصر إلا في بني قريظة)[2]، فراح المسلمون أرسالاً، وتبعهم ﷺ، ولواؤه بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وخليفته على المدينة عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه.

ثانياً: الجزاء من جنس العمل:

لما رأى بنو قريظة جيش المسلمين تحصّنوا بحصونهم، فحاصرهم رسول اللّه ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف اللّه في قلوبهم الرُّعْب، وضاق بهم الأمر فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فحكّم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه سيد الأوس – وكان بنو قريظة حلفاء الأوس – فحكم فيهم رضي الله عنه بقتل المقاتلة وسبي ما سواهم وتوزيع أموالهم[3]. فقال له رسول الله ﷺ: «لقد حَكَمْتَ فيهم بِحُكْمِ الله

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، رقم الحديث (٤١٢٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، رقم الحديث (١٧٦٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، (٩٤٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: المبادرة بالغزو، رقم الحديث (١٧٧٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل، رقم الحديث (٣٠٤٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، رقم الحديث (١٧٦٩).

ﷻ»[1]، وكان جزاء بني قريظة من جنس عملهم حين عرّضوا بخيانتهم أرواح المسلمين للقتل، فكان أن عوقبوا بذلك جزاءً وفاقاً[2].

* * *

الدروس المستفادة

- سبب غزوة بني النضير إرادة قتل النبي ﷺ وخيانة اليهود له، وكذا سبب غزوة يهود بني قريظة مما يؤكد أن اليهود قوم بهت وأهل خداع وخيانة، وما أن يجدوا سبيلا إلى إضرار المسلمين إلا استغلوه وسارعوا إليه.

- في حفر الخندق دلالة على أنه لا بد من الأخذ بالأسباب، والإعداد المادي للجهاد بمختلف الأسلحة المتطورة والمناسبة للعصر لمواجهة العدو.

- الكُفْر مِلَّة واحدة في كل زمان ومكان في مواجهة الإسلام؛ ويظهر ذلك جليا من تَحزُّب المشركين من شتى القبائل واليهود لحرب المسلمين.

- المؤمن لا ييأس عند المحنة، ولا يفقد الثقة بالله مهما اشتدّ الكرب، فالنبي ﷺ في غزوة الأحزاب كان يبشّر أصحابه بانتصار الإسلام، رغم ما هم فيه من الشدة.

- عِظم جريمة الغدر والخيانة، وخاصة إذا كانت في الأمور الأمنية العامة وتعريض استقرار الدولة للخطر كما فعل بنو قريظة، فكانت عقوبتهم من أشد أنواع العقوبات، والقاعدة أن العقوبة بقدر الجرم.

- جواز تحكيم أهل العلم والفضل في أمور المسلمين وفي مُهِمَّاتِهِم العظام، كما

---

(١) خبر ذلك رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: مناقب سعد بن معاذ، رقم الحديث (٣٨٠٤).

(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، لأكرم ضياء العمري (١/٣١٧).

حَكّم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ رضي الله عنه في أمر بني قُرَيْظة، وقَبِلَ حُكْمَه فيهم[1].

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر:

١ – السيرة النبوية لابن هشام رحمه الله.

٢ – السيرة النبوية الصحيحة، أكرم العمري.

٣ – الرحيق المختوم للمباركفوري.

***

(١) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٩٢/١٢).

الوحدة التاسعة

صلح الحُدَيْبِيَة، ومراسلة الملوك والأمراء

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة -- أن تكون قادرا على:

١ – إدراك أحداث صلح الحديبية، وما نصّتْ عليه وثيقة الصلح.

٢ – تذكر ما تَرتَّب على صلح الحديبية من الفوائد.

٣ – معرفة ما قام به رسول الله ﷺ لنشر الدعوة خارج جزيرة العرب.

صلح الحُدَيْبِيَة[1]

أولاً: الخروج إلى الحديبية:

رأى النبي ﷺ في المنام بالمدينة أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين، ويحلقون رؤوسهم ويُقصّرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا[2]، فأمر الناس أن يتجهزوا للخروج إلى مكة معتمرين، فخرج في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، معه المهاجرون والأنصار، يحدوهم الشوق إلى رؤية بيت الله الحرام، بعد أن حُرموا من ذلك سنوات عديدة، وكان عددهم نحواً من ألف وخمسمائة، وساق ﷺ الهَدْي؛ تعظيما للبيت وتكريما، وأشعره[3]، فجرحه في أحد جانبي السنام، وأزال الشعر منه؛ ليعلم الناس أنها مُهْدَاة إلى البيت، فلا يتعرّضوا لها، وأحرم بالعمرة من ذي الحليفة، فلبّى وسار أصحابه يُلبّون، ولم يحملوا معهم إلا سلاح المسافر، وهو السيوف في أغمادها.

ولما وصل رسول الله ﷺ قريبا من عسفان جاء الخبر إلى رسول الله ﷺ أن قريشاً قد جمعوا الجموع، وخرجوا يريدون أن يقاتلوه، ويصدوه عن البيت الحرام.

فاستشار النبي ﷺ أصحابه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قَتْلَ أَحَدٍ، وَلاَ حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ له، فمن صَدَّنَا عنه قاتلناه،

---

(١) الحُدَيْبِيَة: قرية قريبة من مكة، سُميت ببئر فيها وهي مخففة، وكثير من المحدِّثين يُشدّدها. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/٩٠٥).

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٧/٣٢٢)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/٣٥٦).

(٣) إشعار البُدْن: هو أن يشق أحد سنامي البَدَنَة حتى يسيل دمُها ويجعل ذلك علامة تُعْرف بها أنها هدي. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/٤٧٩).

قال: (امْضُوا على اسم الله)[1].

فسار النبي ﷺ حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي ﷺ لأصحابه: (إن خالد بن الوليد بِالْغَمِيمِ في خيلٍ لقريش طَلِيعَةٌ – أي: مقدمة الجيش – فخذوا ذات اليمين)[2]. فخالفه ﷺ في الطريق؛ تجنبا للقتال، وسلك طريقاً وعرة عبر ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ، وقال لأصحابه: (مَن يصعد الثَّنِيَّةَ[3]، ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ[4]؛ فإنه يُحَطُّ عنه ما حُطَّ عن بني إسرائيل)، فكان أولَ مَن صعدها خيل بني الخزرج، ثم تَتَامَّ الناس[5].

فلمّا علم خالد بما فعل المسلمون رجع إلى قريش، وأخبرهم الخبر.

ثانياً: بيعة الرضوان:

وأَحبَّ رسول الله ﷺ أن يرسل إلى قريش مبعوثاً خاصاً يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء معتمرا وزائرا للبيت العتيق، مُعَظِّمًا لحرمته، فأرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه فلقيه ابن عمّه أبان بن سعيد بن العاص، فأجاره، وحمله على دابته، حتى بلَّغَ رسالة رسول الله ﷺ، فقالوا لعثمان رضي الله عنه: إن شئتَ أن تطوف بالبيت، فَطُفْ به. فقال عثمان رضي الله عنه: ما كنتُ لِأَفْعَلَ حتى يطوف به رسول الله ﷺ. فاحتبسته قريش عندها، ولم يأذنوا لرسول الله ﷺ، وقالوا: إن محمدا لا يدخلها علينا عَنْوَةً أبدا، لا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: غزوة الحديبية، رقم الحديث (٤١٧٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد، رقم الحديث (٢٧٣١).

(٣) الثَّنِيَّةُ: هي الطريق العالي في الجبل. انظر: مرقاة المفاتيح، للهروي (٤٠١٦/٩).

(٤) المُرار: بضم الميم على المشهور: موضع بين مكة والحديبية من طريق المدينة. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للهروي (٤٠١٦/٩).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين، باب: براءة حرم النبي ﷺ، رقم الحديث (٢٧٨٠).

تَتَحَدَّثُ العرب عنّا بذلك. وتأخر عثمان ﷺ في مكة حتى أشيع أنه قد قُتِل[1]، فدعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى البيعة، فبايعوه تحت الشجرة بيعة الرضوان على الموت وعلى أن لا يفروا، فبايعه المسلمون كلهم «إلا الجد بن قيس اخْتَبَأَ تحت بَطن بعير»[2]، وكان منافقا، ثم أخذ رسول الله ﷺ بيده اليمنى، فقال: (هذه يَدُ عثمان). فضرب بها على يده، فقال: (هذه لِعُثْمَان)[3]. ولما تمَّت البيعة رجع عثمان ﷺ إلى المسلمين، وتبين بطلان الخبر. وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ (الفتح: ١٨)، وقال فيهم الرسول ﷺ: (لا يدخلُ النار أَحَدٌ مِمَّنْ بايع تحت الشجرة)[4].

ثالثاً: انبهار المشركين بحب الصحابة ﷺ للرسول ﷺ وتعظيمهم له:

ثم تراسل المشركون معه ﷺ حتى جاء عروة بن مسعود الثقفيّ، فتفاوض مع رسول الله ﷺ، وجعل يرمق أصحاب النبي ﷺ ويتعرف أحوالهم، ويتعجّب منهم، فلما رجع إلى قومه قال لهم: «أَيْ قوم، والله لقد وَفَدْتُ على الملوك، ووَفَدْتُ على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قطُّ يُعَظِّمُهُ أصحابه ما يُعَظِّمُ أصحاب محمد ﷺ محمدا، والله إن تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ في كَفِّ رجل منهم، فَدَلَكَ بها وجهه وجلده، وإذا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أمره، وإذا توضأ كادُوا يَقْتَتِلُونَ على وَضُوئِهِ، وإذا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّونَ إليه النظر تعظيما له، وإنه

---

(١) خبر ذلك رواه أحمد في مسنده (٢١٦/٣١) رقم الحديث (١٨٩١٠)، قال المحققون: «إسناده حسن».

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤٠٨/٢٣)، (١٥٢٥٩)، وحسنه الأرنؤوط في تعليقه عليه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب عثمان، رقم الحديث (٣٦٩٩).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٩٣/٢٣)، (١٤٧٧٨)، وحسنه، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (١٦٧/٧).

قد عَرَضَ عليكم خُطَّةَ رُشد»[1].

رابعاً: إبرام الصلح وشروطه:

ثم أرسلت قريش سهيل بن عمرو، فلما رآه النّبيّ ﷺ قال متفائلا: (هذا سُهَيْلٌ، قد سَهُلَ لكم مِنْ أمركم)[2]. فلما جاء سهيل قال: هَاتِ اكْتُبْ بيننا وبينكم كتابا، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم»، قال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما أدري ما هي؟ ولكن «اكتب بِاسْمِكَ اللهم، كما كنتَ تكتب»، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: (اكتب بِاسْمِكَ اللهم)، ثم قال: (هذا ما قاضَى عليه محمد رسول الله)، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله، ما صَدَدْنَاكَ عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: (والله، إني لرسول الله، وإن كَذَّبْتُمُونِي، اكتب محمد بن عبد الله)[3]: ثم جاء في هذا الصلح: (هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، وكتبت شروط الصلح بين الطرفين، وهي[4]:

١ – أن يكف الفريقان عن الحرب عشر سنين، يأمن فيهن الناس.

٢ – أن مَن جاء إلى المسلمين مِن قريش بغير إذن وليه يردونه، ومن أتى قريشًا من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد، رقم الحديث (٢٧٣١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، رقم الحديث (٢٧٣١) ورواه ابن حبان في صحيحه، كتاب السير، باب الموادعة والمهادنة، ذكر ما يستحب للإمام استعمال المهادنة بينه وبين أعداء الله، (٤٨٧٢)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، الحديث السابق، (٢٧٣١).

(٤) خبر ذلك رواه أحمد في مسنده (٢١٨/٣١)، (١٨٩١٠)، بسند حسنه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند، وانظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٣١٧/٢)، وزاد المعاد، لابن القيم (٢٦٦/٣).

المسلمين لا تُلزم قريش برده.

٣ – أن يرجع المسلمون هذا العام دون أن يدخلوا مكة، على أن يأتوها معتمرين العام القادم، ليس معهم إلا سلاح المسافر، فيقيمون بها ثلاثة أيام.

٤ – أن من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها دخل فيه)[١].

وكان المسلمون يومئذ لا يشكّون في أنهم سيدخلون مكة، ويطوفون بالبيت العتيق، «فلما رَأَوْا مَا رَأَوْا من الصلح والرُّجوع، وما تَحَمَّلَ رسول الله ﷺ على نفسه، دخل الناس من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادوا أن يَهْلَكُوا»[٢]، من شدة غيظهم وألمهم، واشتدَّ على الصحابة ردّ المسلمين الفارين من قريش إليها، فقالوا: يا رسول الله، نَكْتُبُ هذا؟ قال: (نعم، إنه مَن ذهب مِنَّا إليهم، فَأَبْعَدَهُ الله، ومَن جاءنا منهم سيجعل الله له فَرَجًا وَمَخْرَجًا)[٣]. ولم يتحمّل ذلك عمر رضي الله عنه فراجع الرسول ﷺ فقال: «فأتيت نبي الله ﷺ فقلتُ: ألستَ نبي الله حقا؟ قال: (بَلى)، قلتُ: ألسنا على الحق، وعَدُوُّنَا على الباطل؟ قال: (بَلى)، قلتُ: فَلِمَ نُعطِي الدَّنِيَّةَ[٤] في ديننا، إذًا؟[٥]، ونرجع، وَلَمَّا يَحْكُم الله بيننا وبينهم، فقال: (يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يُضَيِّعَنِي الله أبدا)، فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح، فأرسل إلى عمر،

---

(١) الفصول في السيرة، لابن كثير ص (١٨٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣١/٢١٩)، (١٨٩١٠)، بسند حسَّنه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية، رقم الحديث (١٧٨٤).

(٤) الدَّنِيَّةَ: النَّقِيصَةُ والخصلة الخسيسة. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٤/١٤).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد، رقم الحديث (٢٧٣١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، رقم الحديث (١٧٨٣).

فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فقال: يا رسول الله، أَوَ فَتْحٌ هُو؟ قال: (نعم)، فطابت نفسه ورجع»[1].

خامساً: بَرَكَة صلح الحديبية، وما ترتَّب عليه من الفوائد:

حقا لقد كان هذا الصلح مغنمًا للمسلمين، ونصرا عظيما، ومبدأ عهد جديد، حتى قال أبو بكر الصديق ﷺ: «ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية»[2]؛ إذ تهيأ بسببه لرسول الله ﷺ أن يراسل الملوك، ويدعوهم إلى الإسلام، وأن يدعو القبائل التي كانت تخشى قريشا، فأصبحت تُقبل على الإسلام، وأتاح هذا الصلح الفرصة للمشركين أن يختلطوا بالمسلمين في ظلّ الأمن والسلام، ويتعرفوا على الإسلام عن قرب، فخالطت بشاشة الإسلام قلوبهم، ودخل في دين الله أضعاف ما دخل من قبل؛ منهم خالد بن الوليد ﷺ، وعمرو بن العاص ﷺ، وحارس الكعبة عثمان بن طلحة ﷺ. ولا أدل على ذلك – كما قال ابن هشام – مِن أنّ رسول الله ﷺ قد خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر ﷺ، ثمّ خرج في عام فتح مكّة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف[3].

سادساً: الفعل أبلغ من القول:

ولما فَرَغ رسول الله ﷺ من قَضِيَّةِ الكتاب والصلح، قال لأصحابه: (قُومُوا فَانْحَرُوا، ثم احلقوا)، فلم يقم منهم أحد، وبقوا واجمين من شدة الهم والغم، فاشتد

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، رقم الحديث (٣١٨٢)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية، رقم الحديث (١٧٨٥).

(٢) سبل الهدى والرشاد، للصالحي (٦٤/٥). وروي مثله عن الزهري، كما في تفسير جامع البيان للطبري (٣١٨/٢١).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٣٢٢/٢).

ذلك على رسول الله ﷺ، فدخل على زوجه أم سلمة رضي الله عنها، فذكر لها ما لَقِيَ من الناس، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا نبي الله، أتحبّ ذلك؟ اخْرُجْ، ثم لا تُكَلِّمْ أحدا منهم كلمة، حتى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ، فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك: نَحَرَ بُدْنَهُ، ودعا حَالِقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فَنَحَرُوا، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غَمًّا[1]. أي: ازدحاما[2].

***

مكاتبة الملوك والأمراء، ودعوتهم إلى الإسلام

كان صلح الحديبية فاتحة عهد جديد للإسلام، فقد أَمِنَ به المسلمين من شرّ قريش وحلفائها، وتفرغ ﷺ لأداء رسالة الإسلام الخالدة التي لا تقتصر على أناس بعينهم، ولا على زمان أو مكان بعينه. فبدأ ﷺ بمراسلة الملوك والزعماء في داخل الجزيرة العربية وخارجها، يدعوهم إلى الإسلام، فعن أنس رضي الله عنه: «أن نبيّ الله ﷺ كتب إلى كِسْرَى، وإلى قَيْصَرَ، وإلى النَّجَاشِيِّ، وإلى كُلِّ جَبَّارٍ يدعوهم إلى الله تعالى»[3]. وذلك خلال عامي ست وسبع للهجرة.

وعندما عزم الرسول ﷺ على إرسال الكتب إلى ملوك العجم قيل له: إنهم لا يَقْبَلُونَ كتابا إلا بِخَاتَمٍ، (فاتخذ النبي ﷺ خاتمًا من فِضَّة نَقْشه: محمد رسول الله)[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد، رقم الحديث (٢٧٣١).

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٤/١٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: كتب النبي إلى الملوك الكفار، رقم الحديث (١٧٧٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب نقش الخاتم، رقم الحديث (٥٨٧٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب: في اتخاذ النبي خاتمًا، رقم الحديث (٢٠٩٢). واللفظ للبخاري، وقد أخرجه=

كتاب رسول الله ﷺ إلى ملك الروم:

أرسل رسول الله ﷺ كتابا إلى هرقل عظيم الروم مع دِحية الكلبي رضي الله عنه، ونصُّه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الروم: سلامٌ على من اتَّبَعَ الهدى، أما بعد، فإني أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ الله أجرَك مرتين، فإن تَوَلَّيْتَ فإن عليك إثم الأَرِيسِيِّينَ[1]، و﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤)).

ولما وصل إلى هرقل كتاب رسول الله ﷺ قال: التَمِسُوا لي ها هنا أحدا من قومه، لِأَسْأَلَهُمْ عنه، وكان أبو سفيان بن حرب بالشام مع رجال من كفار قريش في تجارة، فجاءت رسل قيصر لأبي سفيان، ودَعَوْهُ لمقابلة الملك فأجاب، ولما قَدِم عليه أبو سفيان مع أصحابه في القدس قال هرقل لترجمانه: سَلْهُمْ أَيُّهُمْ أقربُ نسبًا إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: أنا. فسأله عن صفات النّبيّ ﷺ وشرائع دينه، فأخبره أبو سفيان بها، فاعترف قيصر بنبوّته ﷺ وقال: «إن كان ما تقول حقا فَسَيَمْلِكُ موضع قَدَمَيَّ هاتَين، وقد كنتُ أعلم أنه خارج، لم أكن أَظُنُّ أنه منكم، فلو أني أعلم أني أَخْلُصُ إليه لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، ولو كنتُ عنده لَغَسَلْتُ عن قدميه»[2]..

=البخاري في غير موضع.

(١) الْأَرِيسِيِّين: جمع أَرِيسِيٍّ، وهو منسوب إلى أَرِيس، وهو الفلاح. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١/٣٩)، ومعناه: أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك، ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (١٢/١٠٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، رقم الحديث (٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب=

ولكنه لما رأى مخالفة قومه له غلب عليه حبّ الرّئاسة، فلم يُسْلِم، فباء بإثمه وإثم رعيَّته.

كتاب رسول الله ﷺ إلى ملك الفرس:

بعث رسول الله ﷺ بكتابه إلى كِسْرى، مع عبد الله بن حُذَافَة السهمي رضي الله عنه، فأمره أن يدفعه إلى عَظِيمِ البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كِسْرى، فلما قرأه مَزَّقَهُ، فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ[1]. فقُتل كسرى، وتمزقت المملكة الفارسية، ثم زالت من الوجود.

كتاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة ومصر:

بعث ﷺ عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إلى النجاشي[2] ملك الحبشة.

وبعث حاطب بن أبي بَلْتَعة رضي الله عنه إلى المقوقس ملك الإسكندرية، فقال خيرا، ولم يُسْلِم، وأهدى للنبي ﷺ جاريتين؛ هما مارية، وشيرين، وبغلة تسمى دُلْدُل.

وبهذه الكتب والرسائل أخذت الدعوة الإسلامية تنتشر في أقطار الأرض، فبلغت إلى أكثر ملوك العالم، فمنهم من آمن به ونجا، ومنهم من كَفَر وصَدَّ عنه، فخسر الدنيا والآخرة، ومنهم من سالم فَسَلم في دنياه.

***

=الجهاد والسير، باب: كتاب النبي إلى هرقل، رقم الحديث (١٧٧٣).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: كتاب النبي إلى كسرى وقيصر، رقم الحديث (٤٤٢٤).

(٢) وهو غير النجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب والذي كان اسمه «أَصْحَمَة»، بل هو نجاشي آخر لم يُسلم، وهذا اللقب «النجاشي» لقب في لغة الحبشة آنذاك يطلق على من تولّى الملك.

انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار، حديث رقم (١٧٧٤)، وزاد المعاد، لابن القيم (١/١٢٠)، وفتح الباري، لابن حجر (٣/٢٤٠ – ٢٤١).

الدروس المستفادة

- في صلح الحديبية دليل على جواز مهادنة الكفار عند الحاجة إذا رأى الإمام المصلحة فيها.

- الخِيرة فيما يختاره الله لعباده المؤمنين، وإن كرهوه في الظاهر؛ قال تعالى: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ١٩)، فصُلْح الحديبية جعله الله فتحا مبيناً.

- القدوة العملية تؤثر في النفوس أكثر من الكلام مهما كان مؤثّرا وبليغا؛ فلما أمر النبي ﷺ أصحابه أن ينحروا هديهم ويحلقوا رؤوسهم، لم يقم منهم أحد من شدة الهم، فلما فعل ذلك بنفسه بمشورة أم سلمة رضي الله عنها بادر الناس إلى الامتثال.

- في مُكَاتبة الرسول ﷺ للملوك والأمراء دليل على عالمية الإسلام، وأن رسالته لا تقتصر على أناس بعينهم، بل تشمل الناس جميعًا، وتعمّ الأزمنة والأَمْكنة كلها؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر:

١ – السيرة النبوية لابن هشام رحمه الله.

٢ – سبل الهدى والرشاد، للصالحي.

٣ – الفصول في السيرة لابن كثير.

الوحدة العاشرة

غزوة الفتح

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة -- أن تكون قادرا على:

١ – الإلمام بأحداث غزوة الفتح، ونتائجها، والدروس المستفادة منها.

٢ – استحضار عظَم خُلق العفو، وأثره على المجتمعات.

٣ – معرفة الآثار المترتبة على نقض قريش لصلح الحديبية.

سبب غزوة فتح مكة والاستعداد لها

أولاً: نقْضُ قريش لصلح الحديبية وما تَرتَّب عليه من أحداث:

كان من شروط صلح الحديبية أنّ لكل قبيلة الحق في أن تتحالف مع مَن شاءت، فدخلت خزاعة في حلف المسلمين، ودخلت بنو بَكر في حلف المشركين، وكان بين خزاعة وبني بَكر ثارات قديمة، فأراد بنو بَكر أن ينتهزوا فرصة الهدنة؛ ليصيبوا من خزاعة الثأر القديم، فبيّت نفر من بني بَكر لخزاعة، وهم على ماء لهم يدعى الوتير، فأصابوا منهم رجالا، وتناوشوا واقتتلوا، وأعانت قريش بني بَكر بالسّلاح، وقاتل معهم رجال من قريش مستخفين ليلا، حتّى انحازت خُزاعة إلى الحرم؛ إذ لم تكن متأهبة لحرب، فلمّا انتهوا إليه قالت بنو بَكر لرئيسهم نوفل بن معاوية: إنّا قد دخلنا الحَرَم، إلهك! إلهك! فقال نوفل كلمة عظيمة: لا إله اليوم! يا بني بَكر، أصيبوا ثأركم، فلا تجدون هذه الفرصة بعد ذلك.

فَاسْتَنْجَدَت خُزاعة بالمسلمين، وقَدِم عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة، فأنشد أبياتا من الشعر أمام الرسول ﷺ يستنصره فيها، وينشده الحلف الذي كان بينه وبين خزاعة؛ فقال الرسول ﷺ: (قد نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم).

ثم بعث رسول الله ﷺ إلى قريش رجلا يخيّرهم بين دفع دية قتلى خزاعة أو البراءة من حِلف بكر أو القتال، فاختارت القتال[1]، وبذلك أعذَر ﷺ وأنذَر.

ثم ندمت قريش، وشعرت بخطورة الأمر، فأرسلت أبا سفيان إلى المدينة يطلب تجديد المعاهدة والزيادة في المدة، فلما قَدِم المدينة جاء رسول الله ﷺ فعرض عليه ما

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٢/٥٢٨).

جاء له، فلم يردّ عليه شيئا، ثم ذهب إلى أبي بكر ﷺ، فطلب منه أن يُكلِّم له رسول الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب ﷺ فكلمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذَّرَّ – أي النمل – لَجَاهَدْتُكُمْ به، ثم جاء فدخل على علي وفاطمة، فاستشفع بهما، فلم يفعلا، فاستنصح أبو سفيان عليا ﷺ بعد أن اشتدّت عليه الأمور، فنصحه أن يقوم هو، فيجير بين الناس، ففعل، ولكن لم يجزه رسول الله ﷺ، فرجع إلى مكة خائبا[1].

ثم أمر النبي ﷺ أهله أن يجهزوه، ولم يُسمِّ وجهته[2]. وأمر أصحابه بالتجهز والاستعداد للغزو، وحرص على إخفاء أمره؛ لئلا تستعد قريش لقتاله، فتستباح حُرْمَة البلد الحرام، وسأل الله ﷻ، أن يُعمي على قريش الأخبار، فاستجاب له ربه تبارك وتعالى.

ثانياً: سَيْرُ المسلمين قِبلَ مكة وما وقع فيها من الأحداث:

خرج ﷺ لعشر خلون من رمضان، واستخلف على المدينة أبا رُهْم كلثوم بن حُصين الغِفَاري ﷺ[3]، وكان معه ﷺ عَشَرَةُ آلاف من المسلمين، وذلك على رَأْسِ ثَمَانِ سنين ونصف من مَقْدَمِهِ المدينة، فسار هو ومن معه إلى مكة، حتى نزل بِمَرِّ الظَّهْرَان قرب مكة، فأمر الناس بإيقاد النيران؛ لتظهر قوة جيش المسلمين، فتستسلم قريش دون قتال، ويدخل المسلمون مكة دون إراقة الدماء.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٢/٣٩٦)، وزاد المعاد، لابن القيم (٣/٣٥٠)، والفصول، لابن كثير، ص (١٩٦ –١٩٧).

(٢) دلائل النبوة، للبيهقي (٥/١٢)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٦/٥١٩).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤/٢٢٢)، (٢٣٩٢). وحسنه الأرناؤوط في تحقيقه للمسند.

وكان قد خرج من مكة أبو سفيان وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء يلتمسون الأخبار، فلقيهم العباس بن عبد المطلب على بغلة رسول الله ﷺ في تلك الليلة[1] فلما سمع العباس أصواتهم عرفهم، فقال: أبا حنظلة! فعرفه أبو سفيان، فقال: أبو الفضل؟ قال نعم. قال: مَالَكَ، فداك أبي وأُمي؟! قال العباس رضي الله عنه: هذا رسولُ الله ﷺ في الناس، قال أبو سفيان: فما الحيلةُ؟ قال العباس: اركب معي هذه البغلة حتى آتيَ بِكَ رسول الله ﷺ أَسْتَأْمِنَهُ لَكَ. قال: فركب خلفي، فدخلتُ على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (اذهب به إلى رَحْلِكَ يا عباس، فإذا أصبح فَائْتِني به)، قال العباس: فذهبتُ به إلى رَحْلِي، فباتَ عندي، فلما أصبح غَدَوْتُ به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (وَيْحَكَ يا أبا سفيان، ألم يأنِ لكَ أن تعلم أن لا إله إلا الله؟) قال: بأبي أنت وأمي، ما أَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عَنِّي شيئا. قال: (وَيْحَكَ يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أَنِّي رسول الله؟)، قال: بأبي أنت وأمي، ما أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، هذه، والله كان في نفسي منها شيء حتى الآن. قال العباس رضي الله عنه: وَيْحَكَ يا أبا سفيان أسلم، واشْهَد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله قبل أن تُضْرَبَ عنقك، قال: فشهد بشهادة الحق وأسلم. قال العباس رضي الله عنه: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يُحِبُّ هذا الفخر، فاجعل له شيئا. قال: (نَعَمْ، مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومَن أغلق بابه فهو آمن، ومَن دخل المسجد فهو آمن). فلما ذهب لينصرف، قال رسول الله ﷺ: (يا عباس، احبسه بِمَضِيقِ الوادي عند خَطْمِ

(١) كان العباس قد لقي المسلمين في الطريق مسلما قادما من مكة. انظر: المعجم الكبير، للطبراني (٩/٨)، (٧٢٦٤). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٣٤١).

الجبل[1]، حتى تَمُرَّ به جنود الله فيراها). قال: فخرجتُ به حتى حَبَسْتُه حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه قال: وَمَرَّتْ به القبائل على رَايَاتِهَا، كلَّما مَرَّتْ قبيلة قال: مَن هؤلاء؟ فأقول: بنو فلان. فيقول: مالي ولبني فلان؟! حتى مَرَّ رسول الله ﷺ في الْخَضْرَاءِ[2]، كتيبة فيها المهاجرون والأنصار، لا يُرَى منهم إلا الْحَدَقَ أي: العيون، قال أبو سفيان: سبحان الله، مَن هؤلاء، يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار. فقال أبو سفيان: ما لِأَحَدٍ بهؤلاء قِبَلٌ وَلَا طَاقَةٌ، والله يا أبا الفضل، لقد أَصْبَحَ مُلكُ ابن أخيكَ الْغَدَاةَ عظيما. فقال العباس رضي الله عنه: يا أبا سفيان، إِنَّهَا النُّبُوَّةُ. قال: فَنَعَمْ إِذَنْ. قال العباس رضي الله عنه: النَّجَاء إلى قومك. فخرج أبو سفيان حتى إذا جاءهم صَرَخَ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لَكُمْ به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: وَيْلَكَ، وما تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ؟ قال: ومَن أغلق بابه فهو آمن، ومَن دخل المسجد فهو آمن، فَتَفَرَّقَ الناس إلى دُورِهم وإلى المسجد[3].

ثالثاً: تَقْسِيمُ الجيش ودخول مكة:

ثم قسَّم النبي ﷺ جيشه استعدادا لدخول مكة، فجعل خالد بن الوليد رضي الله عنه على الْمُجَنِّبَةِ[4] الْيُمْنَى، والزبير بن العوام رضي الله عنه على الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَى، وجعل

---

(١) خَطْمِ الجبل: أي أنف الجبل، وإنما حبسه هناك لكونه مضيقا ليرى الجميع ولا يفوته رؤية أحد منهم. فتح الباري، لابن حجر (٨/٨).

(٢) الكتيبة الخضراء: سمِّيت بذلك لغلبة الحديد على أهلها، شبّه السّواد بالخضرة، والعرب تطلق الخضرة على السّواد. انظر: سبل الهدى والرشاد، للصالحي (٥/٢٨٣).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/٩ – ١٢)، رقم الحديث (٧٢٦٤)، وصححه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية برقم (٤٣٠١)، والألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٣٤١).

(٤) مُجَنِّبَة الجيش: هي التي تكون في الميمنة والميسرة وهما مُجَنَّبتان والنون مكسورة، وقيل: هي الكتيبة التي=

أبا عبيدة بن الجراح ﷺ على الرَّجَّالَةِ[1] الذين لا خيل لهم، وليس معهم من السلاح ما يثقلهم. وأمرهم أن يكفُّوا أيديهم عند دخول مكّة، وأن لا يقاتلوا إلّا من اعترضهم، وقاتلهم[2].

وجمع عِكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أُميَّة، وسهيل بن عمرو، سفهاء قريش بالخَنْدَمَةِ؛ لِيقاتِلُوا المسلمين، وكان حِمَاسُ بنُ قيس يُعِدُّ سلاحاً قبل دخول رسول الله ﷺ، فقالت له امرأتُه: لماذا تُعِدُّ ما أرى؟ قال: لِمحمد وأصحابه، قالت: واللهِ ما يقومُ لِمحمد وأصحابه شيء، فقال مغترًّا: إني واللهِ لأرجو أنْ أُخْدِمَكِ بعضَهم. ثم شهد الخَنْدَمَةَ مع صفوان وعِكرمة ومَن عاونهم، فلما لَقِيَهُم المسلمون تناوشوا واقتتلوا، فَقُتِل كُرز بن جابر الفهري، وخُنَيْس بن خالد من المسلمين، وكانا قد شذَّا عن الجيش، فسلكا طريقاً غيرَ طريقه، فقُتِلا جميعاً، وأُصيبَ من المشركين نحو اثني عشر رجلاً، ثم انهزموا، وانهزم حِماس صاحبُ السلاح حتى دخل بيته، فقال لامرأته: أغلقي عليَّ بابي، فقالت: وأين ما كنتَ تقول؟ فأنشد:

إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ ❖ إذْ فَرَّ صَفْوانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ

وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُوتَمَهْ[3] ❖ وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَهْ

يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ ❖ ضَرْبًا فَلَا يُسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَهْ[4]

=تأخذ إحدى ناحيتي الطريق، والأول أصح. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/٣٠٤).

(١) خبر ذلك رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: فتح مكة، رقم الحديث (١٧٨٠).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٢/٤٠٩).

(٣) الْمُوتَمَهْ: المرأة التي قتل زوجها، فبقي لها أولاد أيتام. انظر: سبل الهدى والرشاد، للصالحي (٥/٢٩٠).

(٤) الغَمْغَمَهْ: أصوات غير مفهومة من اختلاطها. انظر: سبل الهدى والرشاد، للصالحي (٥/٢٩٠).

لَهُـمْ نَهِيـتٌ[1] خَلْفَنَـا وَهَمْهَمَـهْ ❖ لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّـوْمِ أَدْنَى كَلِمَـهْ[2]

❊ ❊ ❊

فتح مكة وإعلان العفو العام

أولاً: دخول مكة:

دخل النبي ﷺ يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته، مُرْدِفًا أسامة بن زيد رضي الله عنه، ومعه بلال وعثمان بن طلحة رضي الله عنه من الحَجَبَة[3]، وعلى رأسه المِغْفَرُ[4]، ورأسه يكاد يمسّ مقدمة الرَّحل من تواضعه لربه ﷻ[5]، فلما دخل المسجد كان حول البيت ستُّونَ وَثَلاثُمائة نُصُبٍ[6]، فجعل يطعنها بِعُودٍ في يده، ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١)، ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (سبأ: ٤٩)[7].

---

(١) النَّهِيت: نوع من صياح الأسد؛ كالزّئير إلا أنه دونه. انظر: سبل الهدى والرشاد، للصالحي (٥/٢٩٠).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٢/٤٠٧ – ٤٠٨)، وزاد المعاد، لابن القيم (٣/٣٥٦ – ٣٥٧)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٦/٥٥٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: دخول النبي ﷺ من أعلى مكة، رقم الحديث (٤٢٨٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب: المغفر، رقم الحديث (٥٨٠٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب: جواز دخول مكة بغير إحرام، رقم الحديث (١٣٥٧). والمغفر: ما يلبسه الدارع على رأسه. لسان العرب، مادة «غفر».

(٥) الفصول في السيرة، لابن كثير ص (٢٠١).

(٦) النُّصُب – بضم الصاد وسكونها –: حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية، ويتخذونه صنمًا فيعبدونه، والجمع أنصاب. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٦١).

(٧) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ ﴾، رقم الحديث (٤٧٢٠)، ومسلم في صحيه، كتاب الجهاد والسير، باب: إزالة الأصنام من حول الكعبة، رقم الحديث (١٧٨١).

فتساقطت الأصنام، وتم تطهير البيت الحرام منها؛ ليعود كما أراد له الله تعالى؛ مكانا ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥).

فلما فرغ من طوافه ﷺ أتى الصفا، فعلا عليه حتى نظر إلى البيت، ورفع يديه، فجعل يحمد الله، ويدعو بما شاء أن يدعو[١]. ثم أمر عثمان بن طلحة رضي الله عنه أن يأتي بمفتاح البيت ففَتَح[٢]، وأبى ﷺ أن يدخل البيتَ وفيه الآلهة، فَأَمَرَ بها فَأُخْرِجَتْ، فَأَخْرَجَ صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأَزْلاَمِ، فقال النبي ﷺ: (قاتلهم الله، لقد علموا: ما اسْتَقْسَمَا بها قطّ)، ثم دخل البيت، فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِي البيت[٣]. ومعه أسامة بن زيد رضي الله عنه، وبلال رضي الله عنه، وعثمان بن طلحة رضي الله عنه، فَمَكَثَ فيه نهارا طويلا، ثم خَرَجَ[٤].

ثم قام ﷺ على دَرَجِ الكعبة، فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عليه، وكَبَّر ثلاثاً، ثم قال: (الحمد لله الذي أَنْجَزَ وعده، ونَصَر عبده، وهزم الأحزاب وحده) ألا إن كل مَأْثُرَةٍ[٥] كانت في الجاهلية، فإنها تحت قَدَمَيَّ اليوم، إلا ما كان من سِدَانَةِ البيت، وَسِقَايَةِ الحاج. ألا وإن ما بين العمْدِ والخطأ القتل بِالسَّوْطِ وَالْحَجَرِ، فيها مائة بعير، منها أربعون في بطونها أولادها[٦]. يا أيها الناس، إن الله قد أَذْهَبَ عنكم عُبِّيَّةَ[١] الجاهلية

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: فتح مكة، رقم الحديث (١٧٨٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: الردف على الحمار، رقم الحديث (٢٩٨٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي الراية يوم الفتح، رقم الحديث (٤٢٨٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، الكتاب، والباب السابقان، رقم الحديث (٤٢٨٩).

(٥) مَأْثَرَةٍ: بفتح ميم وضم مُثَلَّثة أو فتحها: كل ما يُذكر، ويُؤثر من مكارم أهل الجاهلية ومفاخرهم. انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١٣٨/٢).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٥٢١/٨)، (٤٩٢٦)، وأبو داود في سننه، كتاب الديات، باب: دية الخطأ شبه=

وَتَعَاظُمَهَا بآبائها، فالناس رجلان: بَرٌّ تَقِيٌّ كريمٌ على الله، وفاجرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب، قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣)»[٢].

ثانياً: إعلان العفو العام:

استكمل رسول الله ﷺ حديثه إلى أهل مكة، فنادى فيهم قائلا: (يا معشر قريش، ما تقولون؟) قالوا: نقول: ابنُ أخ، وابنُ عَمٍّ رَحِيمٌ كَرِيمٌ، ثم عَادَ عليهم القول قالوا مثل ذلك، قال: (فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف: ٩٢)[٣]، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ[٤]. فعفا عنهم الرسول ﷺ بعد أن تمكَّن منهم ومن أموالهم وذراريهم، مع أنهم ألدّ أعدائه، أخرجوه من بلده، وهمُّوا بقتله، وضربوه وشجُّوه، ولم يتركوا بابا من أبواب الأذى

=العمد، رقم الحديث (٤٥٤٧)، والحديث صححه الألباني في إرواء الغليل، (٢٥٦/٧).

(١) عُبِّيَّة: الكبر والنخوة. انظر: شرح السنة، للبغوي (١٢٤/١٣).

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجرات، رقم الحديث (٣٢٧٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، (٣٦٨/١).

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ ﴾ (الإسراء: ٨١)، رقم الحديث (١١٢٣٤)، والأموال، للقاسم بن سلام ص (١٤٣)، وسنده حسن مرسل؛ كما قال العمري في السيرة النبوية الصحيحة (٤٨١/٢).

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب: فتح مكة حرسها الله تعالى، (١٨٢٧٦)، وسيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٤١٢/٢)، وزاد المعاد لابن القيم (١٥٩/٣). وقد ورد وصف مُسْلِمَة الفتح بالطلقاء في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، رقم الحديث (٤٣٣٣)، وصحيح مسلم، رقم الحديث (١٠٥٩).

والعداء إلا سلكوه.

وبهذه الأخلاق الرفيعة العالية تمكّن الإسلام من قلوبهم، فأقبلوا عليه، ودخلوا في دين الله أفواجا.

ولما كان اليومُ الثاني من الفتح خطب ﷺ فَحَمِدَ الله، وأثنى عليه، وبيَّن حُرْمَة مكّة، وأنها لم تُحلّ لأحدٍ قبله، ولا تُحلّ لأحدٍ بعده، فقال: (إن مكة حَرَّمَهَا الله، ولم يُحَرِّمْهَا الناس، فلا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْفِكَ بها دما، ولا يَعْضِدَ بها شجرة، فإن أحد تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رسول الله ﷺ فيها، فقولوا: إن الله قد أَذِنَ لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أَذِنَ لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حُرْمَتُهَا اليوم كَحُرْمَتِهَا بالأمس، وَلْيُبَلِّغِ الشاهد الغائب)[1].

ثالثاً: مبايعة أهل مكة على الإسلام:

اجتمع النّاس بمكة ليبايعوا رسول الله ﷺ، «فَبَايَعَهُمْ على الإيمان بالله، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله»[2]، والسمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، وبايعهم رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً[3].

وكان فيمن بايعهنّ هِنْدُ زوجة أبي سفيان التي أهدر الرسول دمها يوم الفتح؛ لعِظَم جريرتها، حيث إنها أتت مع النساء مُنْتَقبة متنكّرة، وبايعت، فلما علم بها،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب، رقم الحديث (١٠٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها، رقم الحديث (١٣٥٤).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٦١/٢٤)، (١٥٤٣١)، وحسنه الألباني في تعليقه على فقه السيرة ص (٣٨٧).

(٣) انظر: حديث الأسود بن خلف في الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي برقم (١٤٤٢)، وحسن المؤلف إسناده، وانظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٦١٦/٦).

عفا عنها، وقَبِل بيعتها، فقالت: «يا رسول الله، ما كان على ظهر الأرض من أهل خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِن أهل خِبَائِكَ، ثم ما أصبحَ اليوم على ظهر الأرض أهلُ خِبَاءٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِن أهل خِبَائِكَ، قال: (وأيضا، والذي نفسي بيده)[1].

وكان من سنَّته ﷺ في مبايعة النساء أن يأخذ عليهنّ الميثاق كلاما، لا مصافحة؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «والله ما مَسَّتْ يدُ رسول الله ﷺ يدَ امرأة قط، غير أنه يُبَايعُهُنَّ بالكلام»[2].

وهكذا قضى الإسلام على الوثنية والشرك في بلد التوحيد ومهد الإسلام، فلم تَقُم بعده للشرك قائمة فيه.

***

الدروس المستفادة

- بيان عاقبة نقْضِ العهد، وأن ضرر ذلك راجع إلى صاحبه؛ قال تعالى: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ (الفتح: ١٠)، فقريش لما نقضت عهدها حلّت بها الهزيمة، وباءت بالفشل.

- النصر ليس مدعاة للفخر والخيلاء، فالنبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح خاشعا متواضعا لربه شاكراً له على آلائه ونعمه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: ذكر هند بنت عتبة، رقم الحديث (٣٨٢٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب: قضية هند، رقم الحديث (١٧١٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب: إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي، رقم الحديث (٥٢٨٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: كيفية بيعة النساء، رقم الحديث (١٨٦٦).

- عظيم خُلُقه ﷺ وحلمه وعفوه؛ فإنه لم ينتقم من أعدائه الذين طالما آذوه واضطهدوه وأرادوا قتله، بل عفا عنهم، وأكرمهم بعد أن تمكَّن منهم.
- تعظيم حُرْمة مكة، وتأكيد الرسول الله ﷺ على أنها لم تحل لأحد قبله، ولا تحل لأحد بعده.
- العاقبة للحق وأهله وأن الله ناصرهم وإن تطاولت السنين.

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر:

١ – زاد المعاد في خير هدي العباد، لابن القيم.

٢ – السيرة النبوية لابن هشام.

٣ – الفصول في السيرة لابن كثير.

***

الوحدة الحادية عشرة

مرض الرسول ﷺ ووفاته

أخي الطالب / أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادرا على:

١ – معرفة مقدمات وفاة النبي ﷺ، والأحداث التي رافقت ذلك.

٢ – الوقوف على الوصايا الأخيرة للرسول ﷺ قبل وفاته.

٣ – استنتاج الفوائد والدروس والعِبَر من وفاته ﷺ.

مقدمات الوفاة

بعد أن فُتحت مكة، وبلغت دعوته ﷺ الآفاق، وأقرّ الله عين نبيّه بدخول الناس في دين الله أفواجا، وبدت طلائع انتشاره في العالم، وظهوره على الأديان كلّها؛ أحسّ ﷺ بِدُنُوِّ أَجَلِه، وبدت آثاره، وظهرت أماراته، فأخذ ﷺ يُعرّض بذلك، ويشير إليه في مناسبات مختلفة؛ ومن تلك الأمارات والإشارات:

١ – **تكرار مدارسة القرآن:** فقال النبي ﷺ لفاطمة رضي الله عنها في مرض وفاته: (إن جبريل كان يُعَارِضُنِي القرآن كل سنة مرة، وإنه عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، ولا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وإنكِ أَوَّلُ أَهْلِ بيتي لحاقا بي)[(١)].

٢ – **مضاعفة اعتكاف رمضان:** يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه اعتكف عشرين يوما)[(٢)].

٣ – **إخباره ﷺ معاذا بِقُرْبِ وفَاته:** يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه: لما بَعَثَهُ رسول الله ﷺ إلى اليمن خَرَجَ معه رسول الله ﷺ يُوصِيهِ، ومعاذٌ رضي الله عنه راكبٌ، ورسول الله ﷺ يمشي تحت رَاحِلَتِهِ، فلما فرغ قال: (يا معاذ، إنك عسى أن لا تَلْقَانِي بعد عامي هذا، ولعلك أن تَمُرَّ بمسجدي هذا وقبري). فبكى معاذ جَشَعًا[(٣)] لِفِرَاقِ رسول الله ﷺ[(٤)]. ووقع ما أخبر به الرسول ﷺ؛ فإن معاذاً أقام باليمن، ولم يَقدُم المدينة

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة، رقم الحديث (٣٦٢٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل فاطمة، رقم الحديث (٢٤٥٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب: الاعتكاف في العشر الأوسط، رقم الحديث (٢٠٤٤).

(٣) الجَشَعُ: الفزع لفراق الإلْف. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/٢٧٥).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٦/٣٧٦)، (٢٢٠٥٢) وقال المحققون إسناده صحيح، وصححه الألباني. انظر: =

إلا بعد وفاة الرسول ﷺ.

٤ – **نزول سورة النصر**: وتُسمَّى سورة التوديع؛ لما فيها من الإيماء إلى وفاته ﷺ وتوديعه الدنيا وما فيها[١]. فقد سأل عمرُ رضي الله عنه ابنَ عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ (النصر: ١) فقال: أَجَلُ رسول الله ﷺ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ، فقال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تعلم[٢].

٥ – **توديعه ﷺ للناس في حجة الوداع**: حيث قال في خُطبته: (لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا)[٣].

***

مرض النبي ﷺ ووفاته

بدأ المرض برسول الله ﷺ في أواخر شهر صَفَر حين زار البقيع، وكان مرضه بسبب السُّم الذي وضعته زوجة سلاّم بن مشكم اليهودية في طعامه عقب فتح خَيْبر في السنةِ السابعة، حتى إن رسوله الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها يوم اشتد به المرض: (يا عائشة، ما أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطعام الذي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فهذا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي من ذلك السُّم)[٤]. والأَبْهَرُ: عِرْقٌ إذا انقطع مات صاحبه؛ وهما أَبْهَرانِ

=مشكاة المصابيح، (٣٧٩/٣٦).

(١) تفسير روح المعاني، لشهاب الدين الألوسي (٤٩١/١٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة، رقم الحديث (٣٦٢٧).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٧/٣)، (٢٤٣٠). وقال الهيثمي: «رجاله ثقات». انظر: مجمع الزوائد (٢٧٣/٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٤٢٨) معلقاً.

يخرجان من القلب، ثم يَتَشَعَّبُ منهما سائر الشَّرايين[1].

وكان أَوَّلُ ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة رضي الله عنها، فاستأذن أزواجه أن يُمَرَّضَ في بيت عائشة رضي الله عنها فَأَذِنَّ له، فخرج النبي ﷺ بين رَجُلين، تَخُطُّ رِجْلاَهُ في الأرض، بين عباس، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما[2]، ولما دخل ﷺ بيت عائشة رضي الله عنها، وَاشْتَدَّ به وَجَعُهُ قال: (هَرِيقُوا[3] عَلَيَّ من سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ[4]، لَعَلِّي أعهد إلى الناس)، قالت عائشة رضي الله عنها: فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ[5] لِحَفْصَةَ زوج النبي ﷺ، ثم طَفِقْنَا نَصُبُّ عليه من تلك القِرَبِ، حتى طَفِقَ يشير إلينا بيده، (أن قد فَعَلْتُنَّ)، قالت: ثم خرج إلى الناس، فَصَلَّى بهم وخَطَبَهم[6].

وكان ﷺ يخرج إلى المسجد، فيصلي بالناس، فلما اشتد به الوجع، وثَقُلَ ﷺ جاء بلالٌ يُؤْذِنُهُ بالصلاة فقال — فيما روته عائشة رضي الله عنها —: (مُرُوا أبا بكر فَلْيُصَلِّ بالناس)... فخرج أبو بكر رضي الله عنه، فصلَّى، فَوَجَدَ النبي ﷺ من نفسه خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَى بين رجلين، كأني أنظر رجليه تَخُطَّانِ من الوجع، فلما دخل المسجد

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة «بهر».

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: الغسل والوضوء في المخضب، رقم الحديث (١٩٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض، رقم الحديث (٤١٨).

(٣) أي صُبُّوا. انظر. لسان العرب، مادة (هرق).

(٤) أَوْكِيَتُهُنَّ: الأوكية جمع: وكاء، وهو الخيط الَّذِي يشد به رَأس الْقِرْبَة. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (٩١/٣).

(٥) الْمِخْضَبُ: شِبْهُ الْمِرْكَنِ، وهي إِجَّانَةٌ يُغسل فيها الثياب. انظر: شرح السنة، للبغوي (٤٣/١٤).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ، ووفاته، رقم الحديث (٤٤٤٢).

سمع أبو بكر ﷺ حِسَّهُ، فذهب يتأخر، فَأَوْمَأَ إليه رسول الله ﷺ قُمْ مَكَانَكَ، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يُصَلِّي بالناس جالسا، وأبو بكر ﷺ قائما، يَقْتَدِي أبو بكر ﷺ بصلاة النبي ﷺ وَيَقْتَدِي الناس بصلاة أبي بكر ﷺ[1].

ولما كان اليوم الذي قبض فيه النبي ﷺ أحسَّ بنشاط، فكشف الستر؛ ليرى أصحابه، فطابت نفسه برؤيتهم، وقرّت عينه بحالهم حين رآهم يصلون جماعة في المسجد، صفوفهم متراصة، وقلوبهم متحدة، فتبسّم فظنوا أنه شُفي من مرضه، وعُوفي من آلامه، ففرحوا فرحا شديدا.

ولما دخل رسول الله ﷺ الحجرة اضطجع إلى حِجر عائشة ﷺ، فأسندت رأسه إلى صدرها، تقول عائشة ﷺ: دَخَلَ عَلَيَّ عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ، وبيده السواك، وأنا مُسْنِدَةٌ رسول الله ﷺ، فَرَأَيْتُهُ ينظر إليه، وَعَرَفْتُ أنه يُحِبُّ السواك، فقلتُ: آخذه لك؟ فأشار برأسه: (أن نعم) فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عليه، وقلتُ: أُلَيِّنُهُ لك؟ فأشار برأسه: (أن نعم) فَلَيَّنْتُهُ[2]، فَاسْتَنَّ به[3]، فما رأيتُ رسول الله ﷺ اسْتَنَّ اسْتِنَانًا قط أحسن منه[4]. قالت عائشة ﷺ: فَجَمَعَ الله بين رِيقِي وَرِيقِهِ في آخر

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الآذان، باب: حد المريض أن يشهد الجماعة، رقم الحديث (٦٦٤)، ومسلم في صحيه، كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، رقم الحديث (٤١٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: مرض النبي ووفاته، رقم الحديث (٤٤٤٩).

(٣) الاستناه استعمال السواك وهو افتعال من الأسنان: أي يَمُرّه عليها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤١١/٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، الكتاب والباب السابقان، رقم الحديث (٤٤٣٨).

يوم من الدنيا، وأوَّل يوم من الآخرة[1].

وكان بين يديه ﷺ رَكْوَةٌ أو عُلْبَةٌ فيها ماء، فجعل يُدْخِلُ يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه ويقول: (لا إله إلا الله، إن للموت سَكَرَاتٍ[2]، اللهم أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ[3]).

فلما رأت فاطمة رضي الله عنها ما وَجَدَ رسول الله ﷺ من كرب الموت قالت: واكَرْبَ أَبَتَاهُ، فقال رسول الله ﷺ: (لا كَرْبَ على أبيك بعد اليوم؛ إنه قد حَضَرَ مِن أبيك ما ليس بتارك منه أحدا، الْمُوَافَاةُ[4] يوم القيامة)[5].

قالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من نبي يَمْرَضُ إلا خُيِّرَ بين الدنيا والآخرة)، وكان في شكواه الذي قُبِضَ فيه، أخذته بُحَّةٌ[6] شديدة، فسمعته يقول: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ (النساء: ٦٩) فَعَلِمْتُ أنه خُيِّرَ[7]. وكان يقول، وهو مُسْتَنِدٌ إِلَيَّ: (اللهم اغفر لي وارحمني

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، الكتاب والباب السابقان، رقم الحديث (٤٤٥١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: سكرات الموت، رقم الحديث (٦٥١٠).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٠/٤١٥)، (٢٤٣٥٦)، والترمذي في سننه، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في التشديد عند الموت، رقم الحديث (٩٧٨)، وحسنه ابن الحجر في فتح الباري (١١/٣٦٢).

(٤) أي المُلاقاة، والموافاة: أن توافي إنسانًا في الميعاد، وأوفيت المكان أتيته. لسان العرب، مادة (وفى).

(٥) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب: ذكر وفاته ودفنه ﷺ، رقم الحديث (١٦٢٩). وحسنه الأرنؤوط في تحقيقه له. ورواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ، ووفاته، رقم الحديث (٤٤٦٢) مختصراً.

(٦) البُحَّة: غلظ في الصَّوْت وخشونة في الحلق. عمدة القاري، للعيني (١٨/١٧٨).

(٧) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾، رقم الحديث (٤٥٨٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل عائشة، رقم الحديث (٢٤٤٤).

وألحقني بالرفيق الأعلى)[1]. فلما نزل به الموت، ورأسه على فَخِذِي، غُشِيَ عليه ساعَةً ثم أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إلى السقف، ثم قال: (اللهم الرفيق الأعلى)، قلتُ: إذًا لا يَخْتَارُنَا، وعرفتُ أنه الحديث الذي كان يُحَدِّثُنَا به، فَكَانَتْ تلك آخر كلمة تكلم بها[2]. قالت عائشة رضي الله عنها: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي فقبضه الله وإن رأسه لبين نَحْرِي[3] وسحْرِي[4]. فلما مات ﷺ قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أَبَتَاهُ، أجاب ربا دعاه، يا أَبَتَاهُ مَنْ جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل نَنْعَاهُ[5].

وكانت وفاته ﷺ في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول سنَة إحدى عشرة من الهجرة بلا خلاف[6]. والجمهور أنها في الثاني عشر من الشهر[7]. وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنَة[8].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وأوصى ﷺ عند موته بثلاث: (أَخْرِجُوا المشركين من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرض، باب: نهي تمني المريض الموت، رقم الحديث (٥٦٧٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله، رقم الحديث (٦٥٠٩).

(٣) النّحر: المراد به موضع النحر أسفل الرقبة، والسَّحْر هو الصدر، وهو في الأصل الرئة. انظر: فتح الباري، لابن حجر (٨/١٣٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم الحديث (٤١٨٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها رقم الحديث (٢٤٤٣)، واللفظ للبخاري، وفي بعض طرق هذا الحديث زيادة (فلما خرجت نفسه لم أجد ريحًا قط أطيب منها)، رواها أحمد في المسند (٤١/٣٩١)، (٢٤٩٠٥)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٨/٧١): «إسناده صحيح على شرط الصحيحين».

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ، ووفاته، رقم الحديث (٤٤٦٢).

(٦) انظر: التمهيد، لابن عبد البر (٣/٢٦)، والمنهاج شرح صحيح مسلم، الحجاج، للنووي (١٥/١٠٠).

(٧) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٨/١٢٩).

(٨) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: وفاة النبي ﷺ، رقم الحديث (٣٥٣٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: كم سن النبي ﷺ يوم قبض، رقم الحديث (٢٣٤٩).

جزيرة العرب وأَجيزُوا[1] الوفد بِنَحْوِ ما كنتُ أُجيزُهُمْ)، ونسيتُ الثالثة[2].

وطَفِقَ ﷺ حين اشتد وجعه يطرح خَمِيصَةً[3] له على وجهه، فإذا اغْتَمَّ[4] كَشَفَهَا عن وجهه، فقال، وهو كذلك: (لعْنَةُ الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يُحَذِّرُ مثل ما صنعوا[5].

وكانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حَضَرَهُ الموت: (الصلاةَ وما ملكت أيمانكم، الصلاةَ وما ملكت أيمانكم)، حتى جعل رسول الله ﷺ يُغَرْغِرُ بها صدره، وما يكاد يُفِيضُ بها – أي: ما يقدر على الإفصاح بها – لسانه[6].

***

تجهيز الجسد الشريف ودفنه ﷺ

أولاً: مصيبة موته ﷺ، وشدَّتها على الصحابة رضي الله عنهم:

اشتدت المصيبة بموته ﷺ، واضطرب المسلمون، حتى قال عمر بن الخطاب

---

(١) أَجيزُوا الوفد: أي أعطوهم. والجائزة العطية. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١٣٥/٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: جوائز الوفد، رقم الحديث (٣٠٥٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب: ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، رقم الحديث (١٦٣٧).

(٣) الخَميصة: كساء أسود له أعلام يكون من صوف وغيره. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٤٠٢/١)

(٤) أي: احتبس نفسه عن الخروج. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣٨٨/٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، رقم الحديث (٤٣٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم الحديث (٥٣١).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٢٠٩/١٩)، (١٢١٦٩)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٣٧/٧).

ﷺ: «إن رسول الله ﷺ لم يَمُتْ، ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى، فَمَكَثَ عن قومه أربعين ليلة، والله إني لأرجو أن يَعِيشَ رسول الله ﷺ حتى يَقْطَعَ أيدي رجال من المنافقين وَأَلْسِنَتَهُمْ يَزْعُمُونَ أن رسول الله ﷺ قد مات»[1].

وحينئذ أقبل أبو بكر ﷺ فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: «أما بعد فَمَن كان منكم يَعْبُدُ محمدا ﷺ، فإن محمدا قد مات، ومَن كان مِنكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، «فقال عمر ﷺ: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فَعَقِرْتُ – أي: دُهشتُ وتحيرتُ –، حتى ما تُقِلُّنِي رجلاي، وحتى أَهْوَيْتُ إلى الأرض، حين سمعته تلاها علمتُ أن النبي ﷺ قد مات»[2].

ولما أرادُوا غسلَ النبي ﷺ اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري كيف نصنع؟ نُجَرِّدُ رسولَ الله ﷺ مِن ثيابه كما نُجرِّد موتانا، أم نُغَسِّلُهُ، وعليه ثيابُه؟ فلمَّا ختلفُوا ألقى الله ﷻ، عليهم النومَ حتى ما مِنهم رجل إلا وذَقْنُهُ في صدرِهِ، ثم كلَّمَهم مُكلِّم من ناحيةِ البيت لا يدرُونَ مَن هو: أن اغسِلوا النبي ﷺ وعليه ثيابُه، نقامُوا إلى رسولِ الله ﷺ فغَسّلوه، وعليه قميصُه، يصبُّون الماءَ فوق القميصِ، ويدلكونه بالقميص دون أيديهم، وكانت عائشةُ ﷺ تقول: «لو استقبلتُ من أمري

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (٢٠/٣٣١)، (١٣٠٢٩)، وقال المحققون: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ، ووفاته، رقم الحديث (٤٤٥٤).

ما استدبرتُ ما غَسَلَه إلا نساؤه»[1].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «غَسَّلْتُ رسول الله، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ ما يكون من الميت فَلَمْ أَرَ شيئا، وكان طَيِّبًا ﷺ حيا وميتا»[2]. وكُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ[3]، مِنْ القُطْن، ليس فيها قَمِيصٌ، ولا عمامة[4].

وقال الناس لأبي بكر ﷺ: «يا صاحب رسول الله، أَنُصَلِّي عَلَى رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: كيف نُصلِّي عليه؟ قال: يَدْخُلُ قومٌ فَيُكَبِّرُونَ، وَيَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ، ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ، وَيَجِيءُ آخرون، حتى يَفْرُغُوا»[5].

ثم دُفِن رسول الله ﷺ وكان ذلك اليوم أشدّ الأيام وحشةً ومصابًا على المسلمين؛ قال أنس بن مالك ﷺ: «لَمَّا كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أَضَاءَ منها كلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيء، وما نَفَضْنَا عن رسول الله ﷺ الأيدي، وَإِنَّا لَفِي دفنه حتى أَنْكَرْنَا قلوبَنا»[6].

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب: في ستر الميت عند غسله، رقم الحديث (٣١٤١)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢/١).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الجنائز، (١٣٣٩)، وصححه ووافقه ابن الملقن في البدر المنير (٢٠٠/٥).

(٣) سَحولِيَّة: سحول: قرية باليمن تنسب إليها الثياب، وقيل: السَّحولية: المقصورة؛ كأنها نُسِبَتْ إلى السحول، وهو القصَّار؛ لأنه يَسْحَلُها، أي: يغسلها. انظر: جامع الأصول، لابن الأثير (٧٦/١١).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: الثياب البيض للكفن، رقم الحديث (١٢٦٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: في كفن الميت، رقم الحديث (٩٤١).

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥٧/٧)، (٦٣٦٧). وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٤٦/١): «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».

(٦) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ رقم الحديث (٣٦١٨)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٦٨١/٣).

وفارق رسول الله ﷺ الدّنيا و(ما ترك دينارا، ولا درهما، ولا عبدا، ولا أَمَة، إلا بَغْلَتَهُ البيضاء التي كان يَرْكَبُهَا، وسلاحه، وأرضا جَعَلَهَا لابن السبيل صدقة)[1].

إنّ العَين لَتَدْمَع، وإنّ القلب لَيَحزن، وإنا على فراقك يا رسول الله لمحزونون، اللهم اجمعنا بالحبيب المصطفى ﷺ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

***

الدروس المستفادة

- الموت نهاية كل حَيّ، ويستوي فيه كل البشر، كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، حتى الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام –.

- التحذير الشديد من اتخاذ المساجد على القبور؛ سدًّا لذريعة الشرك.

- أهمية الصلاة؛ وعِظَم شأنها، فهي عمود الإسلام، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

- تعظيم حقوق المماليك والخدم ونحوهم من الضعفاء، فالنبي ﷺ أوصى بهم، وهو يفارق هذه الدنيا.

- في تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه على غيره في إمامة الصلاة دليل على أفضليته على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وتنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله ﷺ[2].

- فضل عائشة رضي الله عنها على غيرها من أزواج النبي ﷺ؛ حيث اختار ﷺ أن

---

(١) البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم الحديث (٤٤٦١).

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (١٣٧/٤).

يُمَرَّض في بيتها.

- مُصاب المسلم بالنبي ﷺ لا يعدله مصاب؛ فإذا أصيب أحد بمصيبة فليتذكر مصابه بالنبي ﷺ فإن مصيبته تهون عليه، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: (إذا أصاب أحدكم مصيبة، فليتذكر مصابه بي، فإنه من أعظم المصائب)[1].

***

أخي الطالب/أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر:

١ – صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ، ووفاته.

٢ – السيرة النبوية الصحيحة، أكرم العمري.

٣ – الرحيق المختوم للمباركفوري.

***

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم (٣٤٧).

الوحدة الثانية عشرة

حقوق الرسول ﷺ على أمته

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة -- أن تكون قادرا على:

١ – معرفة حقوق الرسول ﷺ على أمته.

٢ – معرفة الطريق الصحيح لأداء هذه الحقوق أكمل أداء وأحسنه.

٣ – استشعار عظمة اتباع النبيّ وتأديّه حقوقه ﷺ.

حقوقه ﷺ على أمته

أكرم الله تبارك وتعالى هذه الأمة ببعثة النبيِّ ﷺ، ومَنَّ عليها ببزوغ شمسِ رسالته قالَ تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

وقد عظم الله تعالى قدر نبينا ﷺ، وخصه بفضائل ومحاسن ومناقب، وأثنى عليه في أخلاقه وآدابه، فكان جل جلاله هو الذي تفضل عليه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة، والمذاهب الكريمة، والفضائل العديدة، وأيده بالآيات الباهرة، والبراهين الواضحة، والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه، وعلمها علم يقين من جاء بعده، حتى انتهى علم ذلك إلينا، وفاضت أنواره علينا.

وحق النبي ﷺ علينا هو أعظم حقوق المخلوقين، فلا حق لمخلوق أعظم من حق رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح: ٨ – ٩) الآية.

وإن للنبي ﷺ حقوقاً كثيرة على أمته، وهي عظيمة لعظم صاحبها ومنزلته عند الله، ومن هذه الحقوق ما يلي:

١ – الإيمان الصادق به ﷺ:

قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (التغابن: ٨).

وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٨). وقالَ ﷺ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ)[1].

والإيمان به ﷺ هو: تصديق نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله من الأمور الماضية والمستقبلة، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان.

٢ – وجوب طاعته ﷺ، والحذر من معصيته:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر: ٧). وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ)[2]. وعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى) قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ: (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)[3].

٣ – اتباعه والاقتداء بهديه ﷺ:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١). وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨)،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم الحديث (٣٤).

(٢) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩)، رقم الحديث (٧١٣٧)، ومسلم في الصحيح، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، رقم الحديث (١٨٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم الحديث (٧٢٨٠).

وقال ﷺ: (مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[1].

فيجب السير على هديه والتزام سنته، والحذر من مخالفته، ولا نضع في مقابله أحداً ولا نقدم قول أحد على قوله، فقولنا: محمد رسول الله، معناه: أن لا متبوع بحقٍ إلا رسول الله ﷺ.

٤ – أن لا نعبد الله إلا بما شرع ﷺ:

يقول ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[2].

٥ – محبته ﷺ أكثر من الأهل والولد، والوالد، والناس أجمعين:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤). وعَنْ أَنَسٍ قَالَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)[3].

---

(١) رواه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث (٥٠٦٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، رقم الحديث (١٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود لقول النبي ﷺ: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد). ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، رقم الحديث (١٧١٨).

(٣) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، رقم الحديث (١٥)، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد، والوالد=

وقَالَ ﷺ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)[1].

ومن وفَّقه الله تعالى لذلك ذاق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فيستلذ الطاعة ويتحمل المشاقّ في رضى الله ﷻ ورسوله ﷺ، ولا يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ؛ لأنه رضي به رسولاً، وأحبه، ومن أحبه من قلبه صدقاً أطاعه ﷺ.

وعلامات محبته ﷺ تظهر في الاقتداء به ﷺ، واتباع سنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، والنصيحة له لقوله ﷺ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا لِمَنْ قَالَ: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[2]. والنصيحة لرسوله ﷺ تكون بتصديق بنبوته، وطاعته فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ومُؤازرته، ونصرته وحمايته حياً وميتاً، وإحياء سنته والعمل بها وتعلمها، وتعليمها والذب عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة.

٦ – احترامه، وتوقيره، ونصرته ﷺ:

قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح: ٩).

قَالَ الشيخ السعْدِي رحمه الله: «أَيْ تُعَزِّرُوا الرَّسُولَ وَتُوَقِّرُوه، أيْ تُعَظِّمُوه،

=والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، رقم الحديث (٤٤).

(١) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، باب: من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، رقم الحديث (٢١)، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم الحديث (٤٣).

(٢) رواه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث (٥٥).

وَتُجِلُّوه، وَتَقومُوا بِحُقُوقِه، كَما كَانتْ لَه المِنَّةُ الْعَظِيمةُ فِي رِقَابِكُمْ»[1].

وَحُرْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ ونصرته وَتَوْقِيرُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَاجِبٌ، كَوُجُوبِهِ حَالَ حَيَاتِهِ؛ فتوقيره في حياته توقير سنته وشخصه الكريم، وتوقيره بعد مماته توقير سنته وشرعه القويم، والذَّبُّ عَنْ سُنَّتِه إِذَا تَعَرَّضَتْ لِطعنِ الطَّاعِنِينَ وَتحريفِ الجَاهِلِينَ وَانْتِحَالِ المبْطِلِينَ، وَبالذَّبِّ كَذلِكَ عَنْ شَخْصِهِ الْكَرِيمِ إِذَا تَنَاوَلَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ أَوْ سُخْرِيَةٍ، أَوْ وَصَفَهُ بِأَوْصَافٍ لَا تَلِيقُ بِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ ﷺ.

٧ – الصلاة والسلام عليه ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦). وقال ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)[2]. وقَالَ ﷺ: (الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)[3].

ومعنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه وإظهار شرفه وفضله وحرمته[4]، قال أبو العالية: «صلاة الله عليه ثناؤه عليه عند الملائكة»[5].

ومعنى السلام عليه ﷺ: السلامة من النقائص والآفات لك ومعك، وأن الله

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ص٧٩٢).

(٢) رواه مسلم في الصحيح، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة، رقم الحديث (٣٨٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٥٧/٣)، (١٧٣٦)، والترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب، رقم الحديث (٣٥٤٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٤٥٨/٣).

(٤) ينظر جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، لابن القيم، (ص٩٠).

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح معلقاً بصيغة الجزم، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ ...الآيات (الأحزاب: ٥٦)، (١٢٠/٦).

تعالى مداوم على حفظك ورعايتك، والدعاء بأن يجعل الله تعالى العباد منقادين مذعنين له عليه الصلاة والسلام ولشريعته.

ومن صيغ الصلاة على النبي ﷺ:

- (اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[1].

- (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[2].

- (اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم)[3].

وصيغة السلام على النبي ﷺ هو قولنا في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

٨ – وجوب التحاكم إليه، والرضا بحكمه ﷺ والإيمان بأن هديه أكمل الهدي

---

(١) رواه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٤)، رقم الحديث (٤٧٩٧)، ومسلم في الصحيح، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، رقم الحديث (٤٠٦).

(٢) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ، رقم الحديث (٦٣٦٠)، ومسلم في الصحيح، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، رقم الحديث (٤٠٧).

(٣) رواه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٤)، رقم الحديث (٤٧٩٨).

وشريعته أكمل الشرائع وأن لا يقدِّم عليها تشريعاً أو نظاما مهما كان مصدره:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩).

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالتَّسْلِيمِ لِحُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ لِحُكْمِهِ فَقَالَ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ (النساء: ٦٥).

٩ – إنزاله مكانته ﷺ بلا غلو ولا تقصير:

فهو عبد لله ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، ولكنه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٨). وقال ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم)[1].

١٠ – نَشْرُ دَعْوَتِهِ ﷺ:

يقول ﷺ: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)[2].

---

(١) رواه البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴾ (مريم: ١٦)، رقم الحديث (٣٤٤٥).

(٢) رواه البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث (٣٤٦١).

١١ – مُوَالاَةُ أَوْلِيَائِه، وبُغْضُ أَعْدَائِهِ ﷺ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وَمِنْ مُوالَاتِه: مُوالَاةُ أَصْحَابِه وَمحبَّتُهم، وَبرُّهمْ، وَمَعْرِفةُ حَقِّهِمْ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِم، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَالاسْتِغْفَارُ لَهمْ، وَالإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُم، وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُمْ أَوْ سَبَّهُمْ، أَوْ قَدَحَ فِي أَحدٍ مِنْهُمْ، وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ آلِ بَيْتِهِ وَمُوَالَاتُهمْ وَالذبُّ عَنْهُمْ، وَتَرْكُ الغُلُوِّ فِيهِمْ.

قال ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه)[1].

وَمِنْ مُوالَاةِ النَّبيِّ ﷺ: مُعَادَاةُ أَعْدَائِه مِنَ الكُفَّارِ وَالمنَافِقِينَ وَغَيْرِهم مِنْ أَهْلِ البِدَعِ وَالضَّلَالِ.

***

(١) رواه البخاري في الصحيح، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذا خليلا)، رقم الحديث (٣٦٧٣)، ومسلم في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، رقم الحديث (٢٥٤٠).

الدروس المستفادة

١ – عِظم حقوق النبي ﷺ على أمته.

٢ – أن الطريق الصحيح لأداء هذه الحقوق هو ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام فمن بعدهم.

٣ – أن الواجب على المسلم معرفة هذه الحقوق وتعليمها، والذب عنه ﷺ.

***

أخي الطالب / أختي الطالبة:

للتوسع في موضوعات هذه الوحدة ينظر:

١ – الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض.

٢ – حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة، للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

٣ – حقوق النبي ﷺ على أمته، د.سعيد بن علي القحطاني.

***

الخاتمة

الخاتمة

في ختام هذا المقرّر نحمد الله أن أتمه على خير، ونسأل الله أن يكون محققا للفائدة التي وُضع من أجلها.

ونذكر بأهم الفوائد والنصائح التي نستقيها مما جاء فيه، فمن ذلك ما يأتي:

- أن السيرة النبوية من أهم العلوم التي يجدر بالطالب أن يبذل وقته في تحصيلها، لما فيها من المنافع الدنيوية والأخروية، حيث كانت السيرة ولا زالت مرجع الهدايات، وتطبيقاً عملياً لما جاء به رسول الله ﷺ من الهُدى والحق.

- أن التوكل على الله لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب، فقد علمنا الرسول ﷺ في سيرته الحرص على الجمع بينهما، ومن الأسباب التي كان يأخذ بها ﷺ جمع العدة وأخذ الأهبة ولا سيما للأمور المهمة، والإكثار من دعاء الله تبارك وتعالى، واستشارة أهل الخبرة من أصحابه.

- قدَّم الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم درسا عمليا من خلال أحداث السيرة يستفيد منه المسلمون في تغيير السلبيات الاجتماعية، وتحرير الناس من العادات المنحرفة والخرافات المتجذرة، فقد وضع ﷺ منهجا قويما لتحقيق ذلك وسار عليه أصحابه رضي الله عنهم، ولو أخذ المسلمون بهذا المنهج وساروا على الطريق التي سلكها النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فلن يعوقهم في إصلاح مجتمعهم المعاصر شيء بعد توفيق الله لهم.

- الإنسان مهما تحقق له من أساب العلم والغنى فإنه لن يحيط بكل شيء، ومن

ثم فعليه أن يطلب المشورة من كل ذي خبرة وعلم فيما يتقنه من الأمور، وقدوتنا في هذا الرسول ﷺ وهو المعصوم الرسول، حيث كان يستشير أصحابه رضي الله عنهم ويأخذ بنصائحهم في الأمور التي لم يوح إليه فيها.

- الأُمَّة الإسلامية تمتلك بشريعتها الإلهية أسباب النهضة، ولا ينقصها لتحقيق السيادة إلا توثيق العلاقة بالله، والعمل بما جاء في شريعته، فيوم أن كان المسلمون جميعاً حول رسوله ﷺ يتلقون الشريعة بشغف، ويعملون بما فيها، ولا يتركون شاردة ولا واردة، ويبذلون الجهد والوسع، ويطلبون العون من الله؛ استطاعوا أن يقيموا دولة مترامية الأطراف، وأن يدحروا كل باطل وشرك، وأن يقوموا بحق الدين بنشره في ربوع الأرض.

- الدعوة الإسلامية هي دعوة الخير والأمن والسكينة، مهمتها رفع راية التوحيد، وتحقيق الأمن في الأرض، والحفاظ على حياة الناس، ولذا عفا رسول الله عن أهل مكة بالرغم مما ذاقه منهم من الظلم والأذى، وأَمّنَهم في بيوتهم وأموالهم واكتفى بتطهير البيت الحرام من الأوثان، وهذا هو الفعل الذي يتوافق مع غاية الشريعة التي جاءت لحفظ النفس والمال والدين، فحري بالشباب المسلم أن يدرك هذه المقاصد ويطبقها في حياته.

- كان للصحابة رضي الله عنهم أثر بالغ في نصر الدين ونشره والذود عنه فقد هجروا البلاد والأهل لأجل الدِّين وما ذاك إلا لمحبتهم العظيمة لله ولرسوله، فرضي الله عنهم أجمعين.

***

قائمة المراجع

قائمة المراجع

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) أشرف الوسائل إلى فهم الشّمائل، ابن حجر الهيتمي، تحقيق: أحمد بن فريد المزيدي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٥هـ.

(٤) ألفية السيرة النبوية، زين الدين عبد الرحيم العراقي، الناشر: دار المنهاج - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٦هـ.

(٥) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين المقريزي، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٧) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لأبي حفص سراج الدين المصري، تحقيق: مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال. الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٨) تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي. الناشر: دار الهداية.

(٩) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(١٠) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ابن الحاج، الناشر: دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(١١) تفسير القرآن العظيم، المعروف بتفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(١٢) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

(١٣) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ابن الجوزي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

(١٤) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي، الناشر: نهضة مصر، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

(١٥) حاشية السندي على سنن ابن ماجه، أبو الحسن نور الدين السندي، الناشر: دار الجيل، بيروت، بدون طبعة.

(١٦) دلائل النبوة الأحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية، ودار الريادن للتراث، بيروت، ط (١)، ١٤٠٨هـ.

(١٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(١٨) الروض الآنف، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عمر السلامي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٤٢١هـ.

(١٩) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيّم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط (١٤)، بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٢٠) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشاميّ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

(٢١) السنن الصغرى للنسائي، الإمام النسائيّ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٢٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، لأبي شهبة محمد بن محمد بن سويلم، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة الثامنة – ١٤٢٧هـ.

(٢٣) السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

(٢٤) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، محمد بن عبد الباقي بن الزرقاني، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

(٢٥) شرح السنَّة، البغويّ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي دمشق، الناشر: بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٢٦) صحيح ابن حبان، لأبي حاتم محمد بن حبان البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٢٧) صحيح ابن خُزَيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(٢٨) صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢٩) صحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣٠) الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق: إحسان عباس. الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

(٣١) العبر في خبر من غبر، الذهبي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت.

(٣٣) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس، تعليق: إبراهيم محمد رمضان. الناشر: دار القلم بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م.

(٣٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة، بيروت، سنة النشر: ١٣٧٩هـ.

(٣٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبليّ، تحقيق: محمود شعبان، وآخرين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية — المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م.

(٣٦) الفصول في السيرة، ابن كثير، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

(٣٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، الناشر: المكتبة التجارية، مصر، ط (١).

(٣٨) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م.

(٣٩) القول المبين في سيرة سيد المرسلين، الناشر: دار الندوة الجديدة بيروت — لبنان.

(٤٠) الكامل في التاريخ، الجزري، الشهير بابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ — ١٩٩٧م.

(٤١) لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر — بيروت، الطبعة الثالثة — ١٤١٤هـ.

(٤٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م.

(٤٣) المجموع شرح المهذّب، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الفكر.

(٤٤) مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٤٥) مختصر إظهار الحق، الهندي، تحقيق واختصار: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٤٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن علي بن سلطان محمد، الهروي القاري، المعروف بالملا علي قاري، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٤٧) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

(٤٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، – وعادل مرشد، وآخرين.

(٤٩) مصادر السيرة النبوية وتقويمها، تأليف د. فاروق حمادة، الناشر: دار القلم، دمشق، ط (٣)، ١٤٢٤هـ.

(٥٠) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، شهاب الدين البوصيري، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي. دار العربية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٥١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين البغوي، تحقيق وتخريج: محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٥٢) المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي ابن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية.

(٥٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ه.

(٥٤) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر.

(٥٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ط (بدون).

***

المحتويات

المحتوى	الصفحة
۞ المقدمة	٣
۞ الوحدة الأولى: مفهوم السيرة النبوية ومصادرها، وحال العرب قبل البعثة	٥
• تعريف السيرة النبوية ومصادرها وفوائد دراستها	٦
• حال العرب قبل البعثة	٧
• شرف مكة، ومنزلتها عند العرب	١١
۞ الوحدة الثانية: مراحل حياته ﷺ الأولى وما سبقها من مبشرات بنبوته	١٧
• إرهاصات النبوة	١٨
• نسب الرسول ﷺ وولادته ورضاعته	٢٢
۞ الوحدة الثالثة: حياته ﷺ من الطفولة إلى البعثة	٣١
• نشأته ﷺ يتيما	٣٢
• عمله ﷺ بالرعي والتجارة	٣٣
• مشاركته ﷺ في بعض الأحداث والوقائع	٣٥
• حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ قبل البعثة	٣٨
۞ الوحدة الرابعة: بعثة النبي ﷺ وبدايات الدعوة في العهد المكي	٤٣
• نزول الوحي ومراحل الدعوة	٤٤
• المسلمون بين هجران الديار ومرارة والحصار	٤٩
• عام الحزن ومحنة الطائف	٥١
۞ الوحدة الخامسة: أحداث ووقائع من العهد المكي	٥٧
• الإسراء والمعراج	٥٨

المحتوى	الصفحة
• عرضه ﷺ الإسلام في المواسم ومبايعة أهل يثرب له	٦٠
• هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة	٦٣
۞ **الوحدة السادسة: المجتمع الإسلامي في المدينة (العهد المدني)**	٧١
• بناء المجتمع المسلم	٧٢
• تشريعات وأحداث مهمة في الدولة الإسلامية الجديدة	٧٤
۞ **الوحدة السابعة: الغزوات الأولى**	٨٣
• غزوة بدر الكبرى	٨٤
• غزوة أحد	٨٨
۞ **الوحدة الثامنة: غزوات: بني النضير، والخندق، وبني قريظة**	٩٥
• غزوة بني النضير	٩٦
• غزوة الخندق	٩٨
• غزوة بني قريظة	١٠٣
۞ **الوحدة التاسعة: صلح الحديبية، ومراسلة الملوك والأمراء**	١٠٧
• صلح الحديبية	١٠٨
• مكاتبة الملوك والأمراء، ودعوتهم إلى الإسلام	١١٤
۞ **الوحدة العاشرة: غزوة الفتح**	١١٩
• سبب غزوة فتح مكة والاستعداد لها	١٢٠
• فتح مكة وإعلان العفو العام	١٢٥
۞ **الوحدة الحادية عشرة: مرض الرسول ﷺ ووفاته**	١٣١
• مقدمات الوفاة	١٣٢
• مرض النبي ﷺ ووفاته	١٣٣

المحتوى	الصفحة

- تجهيز الجسد الشريف ودفنه ﷺ ١٣٨
- ❁ الوحدة الثانية عشرة: حقوق الرسول ﷺ على أمته ١٤٣
- حقوقه ﷺ على أمته ١٤٣
- ❁ الخاتمة ١٥٣
- ❁ قائمة المراجع ١٥٧
- ❁ المحتويات ١٦٤

* * *